

السؤال
المختصة



فهرست

سنة ١٩٤٣

ايار وحزيران

العددان ٥ و ٦

صفحة

١٢٩	فتاة الغد وكيف اريدها اسى طوي
١٣٩	مكتبة القديس يوحنا في الذهب ا. ش.
١٤٦	عيد دخول السيدة الى الهيكل الاب قسطنطين الباشا ب م
١٥٤	بحث في قداسة تريزيا الطفل يسوع الاب الياس سكاف
١٦٣	المشايع اليازييون الاستاذ عيسى اسكندر الملووف
١٧٢	لا ايمان لي ا. ك.
١٧٨	درس في رسائل القديس اغناطيوس الارشمندريت نقولا برخش اب عام ب م
١٨٦	اغريقيا الخالدة تعريب الاب باسيليوس حوري ب م

برل الاشتراك لسنة ١٩٤٣

٨٠ فرنكاً	في لبنان وسوريا
١٥ شلنات	في مصر وفلسطين والعراق
٥ دولارات	في البلاد الاميركية

ABONNEMENT

Liban & Syrie	80 Fr.
Egypte - Palestine - Irak	51 Shil.
Amerique	5 Dol.

الرسالة

ايار وحزيران

١٩٤٣

السنة العاشرة

مايو - يونيو

العددان الخامس والسادس

فتاة الغد وكيف اريد لها

يسرنا ان تصدر العدد الحاضر من الرسالة هذه المقالة القيمة . فالموضوع هو من الاهمية على جانب عظيم ، بسبب التطور السريع السائرة فيه فتيات العصر . والمقال هو نص محاضرة القاها الانسة الفاضلة في النادي الكاثوليكي ببيقا ، وقد تكرم علينا به لنشره هنا حضرة رئيس النادي المذكور السيد عبد المسيح عاصي جدعون ، فله خالص شكرنا .

ومن الواضح ان البحث في اتجاه الفتاة او المرأة العصرية واسع النطاق جداً ، فلا تعالج منه بالطبع صاحبة المحاضرة الا بعض النواحي وهي النواحي العملية والاكثر فائدة . على ان لكلامها وزناً خاصاً لانها فتاة تبحث في ما يتعلق بالفتاة . وهي تبدو ، كما سيتضح للقارىء اللبيب ، متزنة الراي معتدلة الحكم . فنتني جزيلاً على همتها ونشاطها وأدبها . ولعلنا نعود يوماً ، او نعود هي نفسها او احد القراء الكرام ، الى اشباع هذا الموضوع درساً وطرق المسائل التي لم تذكر في هذه المحاضرة .

(الادارة)

سيداتي ، سادتي

تكرم الاخوان اعضاء النادي ودعوني لالقاء كلمة ، يدفهم الى ذلك حسن ظنهم بي ، حسن الظن هذا الذي قد يسيء الى صاحبه احياناً . على انني ارجو ان احقق بعض ظنهم ، وذلك بمساعدة الجمهور الكريم الذي يعلم أن المرأة ، وهي في فجر نهضتها ، تقف على الدرجات الاولى من سلم الرقي والثقافة ، وان ينظر الى جمهوري

هذا المساء بمنظار التساهل والرضى . وقدماً قال الشاعر «وعين الرضى عن كل عيب كريمة» .
موضوعي هذا المساء « فتاة الغد وكيف اريدها » . وارجو ان اوفق فاجلوها فتاة
تحمل على كفيها السعادة ، اثمن هبات الآلهة ، على ان لا تكون هذه السعادة فراشة
لامعة الاجنحة تطير حالماً يقتربون منها . سأجلوها اليهم هذا المساء باسمه اذاً وباسمه قبل
كل شيء . . . البسمة دليل الخلق الرضى ، تلك الهبة الالهية المقدسة ، التي تنير الحيا
فتعكس اضواؤها على كل ما في المنزل ومن في المنزل فيبدو لامعاً مشرقاً . . . قال
احد علماء الغرب : « اذا شئت ان تبكي فاذهب الى الشرق » . فلماذا ؟ اترانا اشد
مخلوقات الله بؤساً ؟ . . . وتحدث غربي آخر الى شرقي كبير فقال : « انتم العرب تعلمتم
كل فن إلا فن الابتسام وحتى ضحكاتكم ، اذا ما ضحكتم ، تبدو كالحة مصطنعة » .
وكتب اديب غربي كان مسافراً الى اميركا فقال : « كل ركاب الباخرة يلهون ويظربون .
فهناك مجموعة تستمتع بنغمات الموسيقى ، واخرى ترقص على هذه النغمات ، واخرى
تستمتع بدفء الشمس على ظهر الباخرة ، عدا بضعة نفر من العرب انزوا جانباً
وجلس احدهم يغني لهم العتابا وهم يبكون » . هذه الكآبة التي هي مظهر من مظاهرنا
هي احد امراضنا المستعصية التي تستحق العلاج . ألا ان الحيا المتجهم هو كالجرثومة
التي تسري عدواها الى ما حولها فتجعله مسوداً كالحأ ؟ ان للحياة آلامها واست انكر
ذلك . ولكن الاينير شعاع الشمس الغيوم الكشيفة ويجعلها اقل سواداً مما هي ؟ اود
فتاة الغد باسمه اذاً تمرن على الابتسام طفلة فتتير ابتساماتها مسالك الابوين الشابين ،
وتمرن على الابتسام صغيرة فتكون الملاك المحبوب للاخوان والاخوات الصغار ، ويصبح
الابتسام مع المران عادة ، فتبتسم زوجة في اعصاب الاوقات واشدها ، فتتسي الزوج
متاعب النهار وآلام الحياة . ثم تبتسم امأ ، شابة او كهلة ، فيجد فيها اولادها دائماً
الصديق الرحب الصدر والزهرة العطرة .

واريدها بعد ذلك وديعة الروح ، انثى بكل ما في هذه الكلمة من عدوبة ورقة
وحنان ، تتجلى وداعتها في نظراتها ، هذه النوافذ المنيرة التي تطل منها فتشرف على
نفس كهنس الحمل الوداع لا تعرف العش والمواربة . فتاة تنظر الى ما حولها بمنظار الحب
والرضى ، فلا ترى الا الحب والرضى . كتب احدهم مرة يقول : « لا تتشدد في محاسبة

من حواك . لقد تكون يدك ناعمة الملمس بيضة البشرة ، ولكنك لو حملت المنظار المكبر ورحت تتفحصها لرأيت فيها عيوباً كثيرة . فالمسام تبدو ثقوباً بشعة ، والشعيرات الناعمة تبدو خشنة كبيرة ، واليد كلها مملأى بالشقوق . تذكر ان القمر الجميل يبدو من خلف المنظار المكبر مملوءاً بالاخايد وقد فقد روعته وسحره .»

واريدها بعد ذلك عفة اللسان لا تلقي الكلام على عواهنه . اللسان هذا العضو الصغير الذي اذا عذب ابقى على العلاقات بين الاقارب والاباعد سليمة لا تشوبها شائبة ، واذا خشن جرح جروحاً يصعب اندماها . هذا العضو الصغير الذي خشى الانبياء والحكماء شره فصاح داود النبي يستنجد بالله من زلاته . قال : « اجعل يارب حارساً لفتي واحفظ ابواب شفتي » . وذائق بزجرهم حكيم الفرس اذاه فقال : « وقعت من ابعد البعد واطول الطول ، فلم اقع في شي . اضر علي من لساني » . وتصوره علي ابن ابي طالب سجيناً ما وضع داخل الاسوار واحيط بالحواجز الا لكي يتحرك بجدد قال : « ما حبس الله جارحة في حصن اوثق من اللسان . الاسنان امامه ، والشفتان من وراء ذلك ، واللاهة مطبقة عليه ، والقلب من وراء ذلك . فاتق الله ولا تطاق هذا المحبوس من حبسه الا اذا امننت شره » . اريد فتاتي اذاً ، سيداتي ، سادتي ، موزونة الاقوال ، تمرن على اختيار الفاظها منذ نشأتها ، ثم تحسن محاسبة نفسها حساباً دقيقاً على كل كلمة تفوهت بها . حتى اذا ما استمرت على هذا زمناً ، اصبحت السيدة المحترمة القليلة الاعداء المستحب محضرها دائماً

واريدها بعد ذلك شجاعة . ولست اقصد بالشجاعة هنا مقارعة الصفوف والنزول الى ميدان القتال ، ولو ان جدتها العربية قد برهنت على انها اهل لذلك . ولكنني اقصد الشجاعة المعنوية . فاودها ان تفهم معنى الشجاعة طفلة ، فتسقط على الارض اذا ما سقطت ثم تنهض سريعاً وقد تغلبت على الألم ، فتنفض الغبار العالق بثيابها وتبتسم . واريدها شجاعة وهي تسير الى جانب اخيها في طريقها الى المدرسة او اي مكان آخر ، حتى اذا ما اصابته لطمة ، ان عمداً وان خطأ ، لا تشرع هي بالبكاء ، بل تقف بجانبه مرفوعة الراس تشجعه . واريدها بطلة زوجة تمر الحن على شريكها ، وما اكثر الحن في الحياة ، فيحمل اليها اثقال النهار ومشا كل الحياة فتصغي بشجاعة وتحفف

باسلوب عذب ، ان لم تستطع التخفيف عملياً . اريدها باسلة يشعر شريكها ان بجانبه رفيقاً قوياً لا امرأة مائعة ، ما ان تمس بالحنّة حتى تأخذ بالبكاء والتلهف والتحسر . واريدها اما شجاعة يحمل اليها اولادها متاعبهم ، يدخلون الى غرفتها كما يدخل الخاطيء . المثقل بالهموم الى كلهن الاعتراف ، ويخرجون وقد بلّت من شجاعتها في صدورهم ، وانزلت حمل كل منهم بحكمتها وبما اكتسبتها الايام من حنكة ودراية . . . ان للحياة آلامها والمرأة الشجاعة هي بلسم تلك الآلام .

واريد لفتاتي ثقافة عالية . لا يهمني اي الشهادات المدرسية قد حصلت ولا اي الدرجات العلمية قد اجتازت . فلقد توضع الشهادات في اطاراتها وتعلق ، ثم تمر الاعوام دون ان تنظر صاحبته في كتاب مفيد ، واذا بكل ما حصلته يتوارى في ثنايا الذاكرة . ولقد تصبح هذه الشهادات مصدر غرور لصاحبته اذا لم يقرن العلم بالاخلاق العالية . ولست اقول هذا تحاملاً ، فقد مرت بفتيات ظنن بانهن اصبحن فيلسوفات عصرهن ، فشمخن بانوفهن ، وترفعن عن ادارة منازلهن ، حتى عن الاشراف على ادارتها ، ونظرن الى كل ما حولهن نظرة التكبر والحيلة ، حتى خطواتهن اذا مشين كانت توقع نغمت انا انا انا . . . اود لفتاتي اذاً ثقافة جيدة . اودها ان تسير مع العصر ، فتطلع على معظم الكتب المفيدة والمجلات الراقية ، فتخرج منها بفائدة تمكنها ، مضافة الى تربيتها البيئية الجيدة ، من ادارة منزلها بنظام واقتصاد ؛ وتصبح بعارفها وادبها زهرة من زهرات المجتمع الراقى تحدث جليسا بما يسره وتنتقل به من موضوع الى آخر بلباقة وادب . قال احدهم : ان العالم يسير الى الامام فاذا ما وقفنا سار وخلفنا ورااه .

اود لفتاتي ان يتحاشى المتحدثون التحدث عن جمالها امامها مهما كانت طفلة . فالمرأة هي المرأة تفهم هذه اللغة حالما تستطيع الفهم ، وتدرج الى المرأة حالما تحطو خطواتها الاولى حتى لقد قال الكاتب الروسي تورجنيف والعهدة عليه طبعاً - « ان حواء في اول عهدها كانت تنطرح امام بركة ماء في الجنة وتحدق في مياهها الساعات الطوال . وكان آدم المسكين ، الذي لم يكن يعرف شيئاً عن النساء ، يتعجب من هذا المخلوق الغريب ذي الشعر الطويل الذي يضايقه كثيراً بلازمته له ، ثم لا يكتفي

بهذا بل يذهب ويحدث في مياه البركة « . ولكن اترى حواء حقاً كانت قد اكتشفت مرآتها ام هو تحامل من الرجل على المرأة ؟ . . . اود لها ان تفهّم حالما تستطيع الفهم ان الجمال وحده ليس كل شيء . بل قد يصبح لا شيء . اذا كان هو وحده راس مال الفتاة . اريد ان تفهّم انها مكونة من عنصرين ، جسد وروح ، وان حاجتها الى الاعتناء بروحها اكثر من حاجتها الى الاعتناء بجسدها .

وأودها مقتصدّة منظمة ، هذان العنصران الرئيسيان في سعادة الاسرة ، العنصران او العنصر الواحد حسب ما اظن . ذلك لان الفتاة التي تستطيع توزيع اوقاتها على اعمالها ، فتنهي كل عمل في الوقت المعين له ، هي الفتاة التي تستطيع توزيع ايرادها ، مهما كان ضئيلاً ، توزيعاً دقيقاً يكفل هناء الاسرة وبقائها غوائل المستقبل اود فتاتي ان تنوّم وتعدّى وتلاعب حالما تفتح عينها للنور في اوقات معينة ، وان تمرن على وضع ملابسها وادواتها المدرسية والعالها في اماكنها صغيرة . اودها ان تحمّل على ذراع الام طفلة لترى الساعة المعلقة على الحائط وتفهم ان الساعة تسير وان الوقت ثمين ، حتى اذا ما سبّت نظرت الى الساعة دائماً وسارت معها كسيرها لا تعرف الملل او الاسترخاء ، وخشيت قرع ساعاتها المحذرة التي تقول كل واحدة منها : لقد مضيت ! ان اعود ! ماذا استفدت مني ؟ . . . اودها ان تساهم في ترتيب المنزل صغيرة . فهي تستطيع حمل هذه الزهرة البرية الى المنزل لترينه بها ، وهي تستطيع مسح الغبار العالق بالكروسي الصغير الذي تجلس عليه ، الى غير ذلك من الاعمال التي تنمي فيها ملكة الاعتناء بالمنزل وحب المنزل . حتى اذا ما سبّت كان عملها المحبّب تنظيم المنزل وادارته . تعرفت مرة الى فتاة غربية في مستهل حياتها كالزهرة النضرة جمالاً ورقةً وأديباً ولها والدان على جانب من الثراء ، وفهمت منها انها تشتغل (وارجو ان تلاحظوا الكلمة تشتغل) عند امرة غربية اخرى . ولما لحظت اندهاشي قالت تشرح الامر : ان هذه الحالة مألوفة في بلادنا ، فقد عشت مع امي طويلاً وتعلمت كل ما تعرفه من طرق ادارة المنزل ، فانا اطهو الكثير من الوان الطعام ، واحسن صنع الكثير من اصناف الحلوى . ولكن امي تودني ان اتمرن على سيدة اخرى تحسن من الاشياء غير التي تحسنها امي . لذلك قد وضعتني عند هذه العائلة لمدة ستة اشهر لأتمرن هناك ،

وانني حقاً قد استفدت كثيراً . وكما ان هذه السيدة قد ارسلت ابنتها الى سيدة اخرى لتستفيد من خبرتها ، قلت في نفسي : يا الهي كم يعتنون بالفتاة . ولكنني عدت فقلت : بل انهم يعتنون بالعائلة التي ستديرها هذه الفتاة ، وبالامة التي تتكون من العائلات . . . اودها ان تصّلع ، طالما تحسن القراءة ، على المجالات التي لا تزال تشكو من اسراف الفتاة ، وان تفهم ان خلف النكات اللاذعة الكثير من الحقيقة المرة . اودها ان تسمع مصطفى امين يعالج مشكلة اشعال اليربوس وحوله اربع سيدات لا يستطعن حلها كأنها احدى مشاكل العالم الكبرى ، وان تصغي لتأوهات فكري اباطه وهو يطلب من ابنته الوهمية - والمعنى في قلب الشاعر - ان تتعلم الخياطة لكي تفصل من فساتينها التي « بطلت موضتها » بيجامات لوالدها الغلبان الذي « يكع » ثمن الفساتين . . . وان تحضر المؤتمر العائلي الذي يعقد لتدبير ميزانية العائلة العارقة في الدين فيقول الرجل : « نقيم الخدّامة ؟ - اعوذ بالله ! شو بيقولوا الناس ؟ . . . نقيم التلفون ، لا . لا . لا . شو بيقولوا صاحباتي ؟ » واخيراً تقترح الزوجة المنصفة ان لا يشرب الزوج القهوة في المكتب في الصباح ! . . . وقد ذكرني هذا المؤتمر بمثيله الذي انعقد بين بدويين فكراً في الاشتراك في عمل اكلة مشهورة واقسام تكاليفها بالعدل والانصاف فقال احدهما :

منك الدقيق ومني النار اضرهما والماء مني ومنك السمن والعسل

واود لفتاتي بعد ذلك ان لا تقول لست انا المقصودة ، فقد كانت حكمة احد الفلاسفة تنطوي على كلمتين : ابدأ بنفسك . . .

تمر امامي ، سيداتي وسادتي ، وانا اتحدث اليكم هذا المساء ، نساءً ونساءً ، بعضهن ساوين الرجال بل ربما فحن الكثيرين منهم بذكاء نادر وهمة عالية ووطنية صادقة الى غير ذلك . فهذه راجحة جائزة نوبل لعام ١٩٢٧ . امرأة علمت نفسها بنفسها ولدت في الجزيرة المنعزلة سردينيا وتزوجت في روما فألفت الكتب القيّمة التي لفتت انظار العالم اليها وترجمت الى لغات كثيرة ، والفت رواية « الأم » فاشتهرت بها وانتقلت بعدها الى مصاف افاض المؤلفين ، وقرر العلماء منحها جائزة نوبل ، فكان ذلك اسمي شرف يناله كاتب ، واعز امنية يحققها شاعر او مؤلف . تلك هي جرازيا ديليدا .

وهذه اخرى ، امرأة صغيرة الجسم كبيرة الروح ، ناثرة على التقاليد ، وطنية متحمسة وشاعرة ادبية ، اول فتاة مسلمة تخرجت في الكلية الامريكية في الاستانة فنجحتها درجة بكالوريوس علوم . حملت مشعل الحرية امام نساء تركيا وسافرت الى امريكا وقد سبقتها شهرتها اليها ، فالفت المحاضرات عن تركيا واطلعت الشعب الامريكى على حقيقة الشعب التركي ورقبه ووجهة نظره في الحياة ، فعدها اكبر زعيمة تركية ظهرت في العشرين سنة الاخيرة . كانت في خطوط القتال في الاناضول سنة ١٩١٩ ، وعهد اليها اتاتورك بكتابة تقرير عن الحراب الذي حل بالاناضول . فقامت بالمهمة خير قيام حتى لقد اشيع بانها ستوفد سفيرة عن تركيا الى امريكا . خدمت وطنها بعد ذلك ، ووجهت همها الى تعمير ما خربته الحرب والى نشر المعارف والعلوم بين شعبها . وقد الفت المعجم الرياضى باللغة التركية ، وهو مشروع اديب عظيم ثم روايتي «هندان» و«طورانيا الجديدة» وقد ترجمت الاخيرة الى عدة لغات . وعهد اليها جمال باشا بتنظيم مدارس سوريا فقامت بما عهد به اليها خير قيام . خطيبة تكلمت مرة في الاستانة في مئة الف تركى فكتبته الصحف عنها انها استفزت حماسة الجمهور الى حد خطير . تلك هي خالدة اديب .

وهذه احدى خادمت العلم ، ماري ديفز الانكليزية ، التي راعها فتك الغاز بالجنود في الحرب الماضية ، فوضعت قناعها على محياها وراحت تعمل في احد المعامل الكيماوية لتجد دواء . مضاداً للغاز اعلمها تحفف من ويلات المجتمع . وكان ان حققت نفسها مجرايم الغنغرينا المسببة من الغاز لتختبر مفعولها وضده بنفسها فماتت شهيدة العلم والنبيل . وقاهرة الجو الامريكية مس ابرهات التي اجتازت الاتلنتيك سنة ١٩٢٨ وكانت قبل ذلك بثمانية اعوام قد حلقت بطايرتها الى علو اربعة عشر الف قدم ، فماتت بذلك جائزة الطيران التي لم يكن قد نالها حينذاك سوى سبعة عشر طياراً في العالم كله .

وتمت صور اخرى تمر امامي . فهذه انجليك دوشمان تحتال بشباب الجندي ، يزبن صدرها وسام اللجيون دونور ، اول وارفع اوسمة فرنسا ، الوسام الذي وضعه نابليون وحرمه على كل امرأة ، حتى على مدام دوستابل ، ذلك لاعتقاده انه ليست هنالك امرأة بلغت من عظمتها العقلية والاجتماعية مبلغ الرجل لتصبح أهلاً لمثل هذا الوسام . وقد ظل محرماً على المرأة حتى بعد وفاة نابليون الى عام ١٨٥١ حيث نالته انجليك دوشمان

بعد ان جرحت ثلاث مرات في سبع حروب .

ها هن يمرن امامي : ربة السيف حاملة الوسام ، وربة القلم يرن في جيوبها الاصفر الزنان قاهرة الجو وحاملة عصا الثورة والزعامة النسوية . وتر غيرهن جماهير من مختلف النساء في مختلف الامم ، يكتسجن الاسواق والمعامل والحقول . تسير المرأة بجانب الرجل يدأبيد وكتفأ الى كتف امرأة اليوم بنشاطها وحركتها تتمتع بكل ما تاقت اليه من حرية وصرخت وملأت العالم ضجيجاً لاجل الحصول عليه . . . اراهن فيدوي في مسنمي السؤال الآتي : هل سعدت المرأة بهذا او على الاصح هل جلبت المرأة بهذا السعادة للأسرة؟ سيداتي ، سادتي ، منذ ان وضعت الحرب الماضية اوزارها ، ومنذ ان تحفزت المرأة للخروج من عرينها الى العالم ، تشد الحرية والمساواة بالرجل على حد زعما . منذ ذلك الحين وحلة الاقلام في الغرب فريقيان : فريق يناصرها ويقول دعوها ، ان صدرها مملوء بالثقة والايان فلا ترزعوا ايمانها ؛ انها تريد ان تساهم في بناء المجتمع ، فهل ترفضون عاملاً يتقدم الى العمل لبناء المجد الانساني . وهذه الحججة هي منطقية فقط كما ترون لا اكثر ولا اقل . وفريق اخر كان يرى الخطر يحتم خلف هذه الثورة التي تهدد نظام الاسرة ، اقدس نظام في الوجود ، فراح يكتب ويشرح مخاوفه . واني لاذكر تلك النكتة اللاذعة التي صوروا بها يومئذ امرأة تحطب في حفل من الرجال ، تثبت وجوب خروج المرأة ومساواتها بالرجل الى غير ذلك . ثم اخذتها حى الموقف فصاحت : والآن ايها السادة ما هي المرأة العصرية . فاجاب احد الجلوس بكل هدو . يقول : هي طفل بلا ام يا سيدتي كطفلك ا

كان هذا الضجيج حول الموقف منذ عشرة اعوام . ثم استسلم الفريق المعارض مغلوباً على امره ، وخرجت المرأة لتساوي الرجل ، ومرت الاعوام . فماذا كانت النتيجة ؟ هذه اوربا ومن قبلها امريكا ، تشكو تخمة الطلاق . وها هم اشهر حملة الاقلام في الغرب يحاولون تهليل سبب هذه التخمة ، فيخرجون من محاولتهم بتعلييل واحد وهو : تشبه المرأة بالرجل . . . وفي انكلترا كاتبة شهيرة ، هي اليزابت كريبج راعها ما ترى من تفكك عرى الاسرة . فوضعت حقيبتها على كتفها ، كما يقولون ، وراحت تتجول في ارجاء العالم الجديد تبحث عن اسباب هذا التفكك ثم كتبت تقول :

« تتعنت المرأة الاميركية في منزلها تعنتاً لا مسوغ له ، حتى انها تتحكم في طعام الزوج نفسه ، فلا يأكل المسكين الا ما تريده هي ان يأكل . وقد سمعت مرة صديقاً يطلب الى الطاهي عمل نوع من الطعام تشتهي نفسه . فاجاب الطاهي انه لا يستطيع ذلك لان سيدته لا تحب هذا النوع من الطعام . وطلب صديق آخر من زوجته ان تقدم له الحساء على العشاء فرفضت ، ولكنها من باب التلطف واللين سمحت بان يقدم له بعض السردين والسلطة . وتتعنت المرأة كذلك في الحقل ، وسيطرتها هناك شديدة ، وللواصلات السريعة الفضل في وجودها في الحقل دائماً . لست اكتب عن مقاطعة واحدة من مقاطعات امريكا ، فقد زرت وسنطن وكفلندا وفيلادلفيا وسان پول ، وكنت دائماً اسائل نفسي عن سبب عتو الزوجة . وانتهيت اخيراً الى النتيجة وهي ان رجلاً معتوهاً ضيف العقل وصف المرأة الاميركية مرة بقوله : انها تشبه الآلهة . ومنذ ذلك الحين هي تثبت الوهيتها وتتاجر بهذا الوصف لتثبيت سلطتها على الرجل . وليس هذا السلوك مقصوراً على فئة معينة من السيدات بل هو شائع عام بينهن ، شهدت اثاره - هذا ما تقوله الكاتبة الانكليزية - في جميع الانحاء التي مررت بها اثناء طوافي في الولايات المتحدة . وكنت اذا قلت للزوجات هناك ان مهمة المرأة هي القيام بشؤون المنزل وتربية الاولاد ، ومهمة الرجل هي ضمان اسباب المعيشة للأسرة ، كنت اذا قلت هذا لاي سيدة اميركية ، نظرت الي شذراً ورجت مني ان اعني بشؤوني الخاصة ولا اسمع عقول الرجل بهذه الافكار الفاسدة . لقد رسخ في عقل المرأة انها تستطيع ان تعمل كل ما يعملها الرجل . فمن الحطة لسانها اذاً ان تكون خادمة منزل فقط ومن هنا كانت الطامة الكبرى . واستعرضت الكاتبة الانكليزية بعد ذلك احوال معظم نساء الغرب وخلصت الى القول : « لو سئلت اي النساء اكثر اسعاداتاً للرجل ، وايهن الاجدر بالنظام العمراني ، لقلت انها تلك الاقدر على ادارة شؤون منزلها ؛ تلك التي تقوم بالواجب الذي فرضته عليها الطبيعة دون ان تستبد باحد » .

سيدياتي ، سادتي ، تتحفز المرأة الشرقية لتتبع خطوات شقيقتها الغربية . ولقد كانت التجربة فاشلة هناك فهل تنجح هنا ؟ لا اظن ! . . . لقد احس العالم العربي بخطور تقليد المرأة الشرقية للغربية كمعادتها دائماً ، فراح الادباء يتوقون المرض قبل

وقوعه ، فارسلت مجلة الهلال الى معظم الادباء . في مصر تسألهم رأيهم في ذلك . ومن الغريب ان آراء الاكثوية كانت كروأي الكاتبة الانكليزية التي ذكرتها . فقد اجاب المازني : « اود ان تقتنع المرأة . . . بأن بيتها هو ميدان عملها وان العناية بما فيه وعن فيه من اقدس وظائفها » . واجاب الشيخ مصطفى عبد الرازق : « اود ان تجمع بين التقاليد الشرقية من حيث تقديس الحياة المازلية وبين ما عند الغربية من حسن الذوق والفهم » . الى غير ذلك من الاجوبة المتشابهة .

اذ كل ما يحتاج اليه مجتمعنا هو اسرة راقية هانئة ، في ظل ربة فاضلة . واني لأعتقد ان العناصر التي تكون سعادة الاسرة هي العناصر التي ذكرتها في اول حديثي هذا المساء . . . ان امرأة تحسن تنظيم ميزانية بيتها لهي في نظري خير من الف قاهرة جو . وامرأة تحسن تربية اطفالها فتقدم للوطن الاحجار الصلبة التي يرتفع بها بناء هذا الوطن ، لهي خير في نظري من الف خطيبة وسياسية . وامرأة يتضوع اريج فضيلتها فيستشقه كل من حولها لهي خير من الف كاتبة وشاعرة .

وبعد افليست هذه مهام سامية ، تساوي بسموها المهام التي يؤديها الرجل في الحياة ان لم تكن تفوقها ؟ قال احد العظماء : « امرأة حكيمة ، رحبة الصدر دائماً ، طيبة الخلق دائماً ، هي في نظري حديقة ملائ بالورود » .

وما أحوجنا الى الحدائق الملائ بالورود وسط هذا الكون المملؤ بالاشواك . . .

اسمى طوبي

عكا في ٢٥ - ٢ - ٤٣

النعمة غرور والجمال باطل والمرأة المتقية للرب هي التي تمدح (امثال ٣١ : ٣٠)
من يجد المرأة الفاضلة ؟ ان قيمتها فوق اللائ . . . قلب رجلها يثق بها . ثابتة بالخير دون الشر
جميع ايام حياتها . . . تفتح فاهها بالحكمة وفي لسانها سنة الرافة . تلاحظ طريق بيتها ولا تأكل
خبز الكسل (امثال ٣١ : ١٠ وما يتبع)

لا تكن زينتك الزينة الظاهرة من تجعيد الشعر والتجلي بالذهب وليس اللخل بل زينة
انسان القلب المستتر اي زكاه الروح الوديع الهادي . الذي هو كثير الثمن امام الله (١ بط ٣ :

مكتبة القديس يوحنا فم الذهب

مؤلفاته وخطبه واماراته ورسائله

ارسل الينا حضرة صاحب الامضاء هذه المقالة القيمة ، وهي حلقة اولى من سلسلة مقالات في مؤلفات الذهبي الفم، يمدّها للطبع في مجلدات او كراريس متوالية . فمعي ان تسمح له الظروف بانغام هذا المشروع المهم، الجزيل الفائدة، الذي يجعل كنوز القديس يوحنا فم الذهب في متناول عموم القراء
(الادارة)

قبل الشروع في نشر ما تحتوي عليه مكتبة القديس يوحنا فم الذهب، نقول كلمة عما لمؤلفات الاقدمين والقدماء . من الفضل العظيم على العلم والادب . وزيد بالاقدمين الكتبة اليونانيين واللاتين الذين وجدوا قبل المسيح كهوميروس وبيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطو واسخيل وسوفكليس واريستوفان وهيرودوت وديمستينس وبقرات وثيرجيل وشيشرون وسواهم . ونعني بالقدماء الآباء القديسين الذين وجدوا بعد المسيح مثل اغناطيوس ويوستينس وثيودوتوس وصورومينس واكليمنضس وافرام السرياني واوريجنس وترتوليانس واغوستينس واثاناسيوس وكيرلس وباسيليوس وغريغوريوس فم الذهب ويوحنا الدمشقي وغيرهم كثير من الشرقيين والغربيين الذين سطعوا في سماء الكنيسة المقدسة ونشروا الايمان وعلموا الآداب المسيحية .

ان مؤلفات الاقدمين والقدماء هؤلاء ، اعلى جانب عظيم من الاهمية، لان فيها دروساً طالما لفتت انظار الباحثين من العلماء والادباء . وارباب الدين ، فاوغلوا في التنقيب عنها حتى بعثوها من مدافنها واستجلوا نصوصها وتقصوا معانيها ثم نشروها في مجلدات ضخمة . ولولاها لما كانت النهضة العلمية العربية في عهد العباسيين، ولا كانت النهضة الادبية والدينية التي بدأت في اروبا منذ القرن السابع عشر . فعن الاقدمين اخذ العرب علوم الفلسفة والطب والفلك والكيمياء والرياضيات . وعن الاقدمين والقدماء اقتبس كتاب الافرنج مسرحياتهم وآدابهم . ولا تزال تلك المؤلفات يطالعها ويستفيد منها العلماء والادباء في جميع البلدان . ولا تخلو جامعة في البلاد الراقية من فرع خاص تدرس

فيه هذه المؤلفات . وقد انشئ . في رومة من عهد غير بعيد معهد خاص لتلقي الدروس الشرقية القديمة ، يقصد منه الوقوف على عقلية الشرقيين وعاداتهم الحميدة وترتيباتهم الكنيسة وطقوسهم الجميلة مما يؤدي ان شاء الله الى التفاهم والتقرب والانضمام والوحدة . ولا يسعنا بهذه المناسبة الا ان نشيد بعمل المطوب الذكر البابا بندكتس الخامس عشر الذي اسس هذا المعهد فقلد الكنيسة المقدسة منة لا تنسى مدى الدهر .

على انه كان يجدر بالشرقيين احفاد اولئك الرجال العظام ان يحرصوا على ذلك التراث الحميد وبرزوا ما فيه من الكنوز الثمينة والقوائد الجملة روحية كانت ام ادبية . نعم ان لهم في اهمالهم عندياً ما لم يتيسر لهم ان يواصلوا اعمال آباءهم او ان يحفظوها بسبب ما حل في الشرق من الدمار والحرب عقيب سقوط الدولة البيزنطية اذ اصبح المسيحيون فقراء . بالمال والرجال . ناهيك عما كان يسومهم به الفاتحون من العنف والضغط والذل . اما اليوم وقد اشرفت على بلاد الشرق شمس الحرية وتوفرت فيها اسباب اليسر وانتشرت ضروب الثقافة ، فعلى ادبائنا من اكليس وعلمايين ان يهبوا للعمل على نقل هاتيك المؤلفات من لغتها الاصلية الى لغتنا العربية ونشرها كاملة او ملخصة ليتسنى للقرأء مطالعتها حتى اذا ادركوا معانيها تثقفوا بمبادئها السامية وتعاليمها الصحيحة ، وتاقت نفوسهم الى ممارسة الفضيلة والاعراض عن الرذيلة . لا ننكر ان في الشرق نهضة ادبية وعلمية مقبسة من كتاب الافرنج ولكن هذه النهضة غير كاملة فيما نرى ولا تكتمل الا اذا ارتكزت مباشرة على مؤلفات الاقدمين والقدماء . لان الافرنج اقتبسوا من تلك المؤلفات ما يلائمهم واعرضوا عما يلائمنا منها كالتشابه والصور والخيال ، وهي امور من خصائص الشرق ومن أحب الامور اليه ، فاعرضوا عن ذلك كله بل انتقدوه . لذلك رأينا ان ننقل الى لغتنا العربية ما يتيسر لنا نقله ثم نشره كاملاً او ملخصاً . وتهدياً لهذا العمل نبدأ نشر على صفحات هذه المجلة بياناً لمؤلفات احد الرجال السوريين العظام ، القديس يوحنا في الذهب ، حتى اذا طالع القراء هذا البيان وملخص ما يحتويه كل مؤلف ، يعمرهم الاعجاب فيتهاقون على مطالعة مؤلفاته الكاملة .

ان مؤلفات الذهبي الفم لمن اثن الكنوز الادبية واكثرها تداولاً بين كتاب

الافرنج وخطبائهم وادبائهم ورجال الدين منهم . لانها الدليل الامين بلوغ ما ينشدونه من بحث اي موضوع من مواضيع الحياة الروحية والادبية والاجتماعية ، او حل اي معضلة من معضلات الكتاب المقدس او اتخاذ اسلوب ممتاز من الخطابة او الكتابة . فهي أشبه بيستان فسيح الارجاء . عابق بكل رائحة طيبة ، مزين بازاهير متنوعة الالوان ، مظلل باشجار تتدلى على اغصانها ثمار جميلة المنظر دانية القطوف لذينة الطعم ، ومدخله مباح لكل من يتبغي الاستمتاع به والاستفادة منه . وتصانيفه تؤلف مكتبة نفيسة يجد فيها القارى . ما كانت تزعت ، ما ينفعه ويلذ له ، بحيث انه اذا بدأ قراءة احد المصنفات لا يسعه الا ان يأتي على آخره . وتحتوي هذه المكتبة على اثني عشر مجلداً ضخماً ما عدا الضائع منها وكلاهما باللغة اليونانية . وفي المجلد الواحد ما يزيد على اربعمائة صفحة من القطع الكبير .

فلا عجب اذا ما تهافت العلماء والخطباء . والكتاب على مؤلفات هذا الخطيب الاوحد الذي لم يبدع احد لا قبله ولا بعده مثل ما أبدعته قريحته الفياضة من ضروب الزين ، ولا احرز ما احرزت فصاحته من النصر المبين للحقيقة المسيحية .

خلا يوحنا منذ صباه الى تلقي اصول البيان في مدرسة انطاكية الشهيرة فاصاب فيها من النجاح ما ادشس اساتذته وغمرهم بالاعجاب حتى قال ليبيانس عميد المدرسة ومدرس الفصاحة عند احتضاره : « لولم ينتزع منا المسيحيون يوحنا لما خلفني غيره على منبر التدريس . » وبعد ذلك انصرف الى اخذ الدروس الدينية عن رجال مشهود لهم بالعلم والفضيلة . وقد نبغ فيها نبوغه في غيرها كما تشهد له مصنفاة . وقد شاء في البدء ان يتخصص للدفاع في مجالس القضاء فرافع في بعض القضايا . غير انه رغب عن هذه المهنة الى طريقة اسمى واشرف وهي الانقطاع الى ممارسة الفضائل المسيحية . وفي ذلك الحين ، وهو في مقتبل الشباب ، اظهر عبقريته في رسالتين تحريضيتين بعث بهما الى صديق له اسمه تيودورس ، كما اظهرها في كتبه التي ارسلها الى ثلاثة من الرهبان ديتريوس وستاليشيوس وستاجيورس . فدلّت هذه الكتب على بلاغة نادرة . لكن مقالته في الكهنوت التي الفها في اول عهده ايضاً اي قبل انخرطه في سلك الاكليس

تفوق تلك الكتب معنى ومبنى. ويصح ان يقال فيها ان في الذهب يبدو فيها ابلغ من في الذهب.

فيمثل هذه المؤلفات كان يوحنا يعد نفسه للخطابة المسيحية التي قام بها فيما بعد على وجه لا مثيل له. فاذا كان كاهناً في انطاكية مدة ١٢ سنة واستقفاً في القسطنطينية مدة ٥ او ٦ سنوات لم يكف عن الوعظ والارشاد واثارة الاعجاب في الشرق والغرب. فكان ، اذا استعد لخطبة او ارتجلها ، كأنه يتلو مولفاً عن ظهر قلبه. وكان دائماً ينتقي من اساليب الفصاحة ما من شأنه ان يقنع مستمعيه ويهز قلوبهم. كلامه سائح، غني، عزيز، « يتدفق على لسانه تدفق شلالات النيل » ، كما يصفه سويداس اللغوي اليوناني الشهير ، رقيق كأنه ممر الصبا. ويصح ان ينطبق عليه قول هوميروس: « من فيه كان يخرج انسجام الذم العسل ». كان يملك قياد النفوس ويوجهها حيث يشاء. فكلم لين من قلوبكم وكم اصلح من عيوبكم وكم قوم من زيغكم وكم قاد من شهوات حرون وكبح من اهواء. شاردة وحارب من بدع!

هذا هو الرجل العظيم الذي عولنا بعون الله على نشر سلسلة مقالات نبحت فيها عن كل مؤلف من مكتبته مع اثبات بعض مختارات تنقل بنصها الكامل الى اللغة العربية.

تحرير

او

رسالتا يوحنا في الذهب
الى ثيودورس بعد سقطته

من هو ثيودورس هذا: ان صورومينس المؤرخ اليوناني الذي عاش في القرن الخامس ووضع كتابه بعد موت في الذهب بزمن غير بعيد يقول بعرض مديحه لهذا المؤلف: « ان يوحنا لم يكن التلميذ الوحيد لهذين المعلمين^(١) ، بل ضم اليه اثنين من رفقاءه القدماء في مدرسة ليبيانيوس وهما ثيودورس ومكسيمس. احدهما (مكسيمس) سيم

(١) اي كديريوس وديودورس اللذان لقنا يوحنا العلوم الدينية.

فيا بعد اسقفاً على سلوقية ، السورية وثانيهما (ثيوذورس) سيم كذلك اسقفاً على بسواسته في كيليكية . « فالى هذا الاخير وجه في الذهب الالهي رسالته الثانية ^(١) »

الرسالة الاولى

تحتوي هذه الرسالة على ٢٦ صفحة من القطع الكبير . واليك ما تتضمنه من التعاليم السامية : (١) يفتتح في الذهب رسالته برثاء ارميا : « من لي بآء لرأسي وينبوع دموع لعيني ^(٢) » . ثم يبين ان النفس لا شرف من قدس الاقداس وما فيه من اواني ذهبية وفضية وتلوت العهد نفسه ، وان خسارتها لا فدىح من هذه الاشياء . حالة النفس المقيمة على الخطيئة اشبه بصحراء عارية عن كل حلية وزينة ، او بمنزل نزلت بوابته فاصبح معرضاً لاقتحام الافكار الشائنة المفسدة . - (٢) لا تياس اذا كان الشيطان هبط بك من قمة الفضيلة الى قاع الرذيلة فان الله قادر ان يعيدك الى الحرية ليجعلك اهنأ مما كنت عليه من قبل . ان الشيطان يوحى اليك افكار اليأس ليتزع منا الرجاء بالله ، لاننا بهذا الرجاء نخلص كما يقول بولس ^(٣) . - (٣) انه من الجنون المطبق ان يبكي الناس موت الجسد مع علمهم بان دموعهم لا تعيد امواتهم الى الحياة . فالاجدر ان يبكوا النفس المائتة بالخطيئة ، لانهم على يقين من انهم يستطيعون ان يروا تلك النفس تعود الى الحياة . - (٤) تلك المرأة التي وجدت درهمها الضائع كانت تقول لغيراتها افرحوا

(١) كان ثيوذورس اسقف بسواسته متضلماً من الكتب المقدسة ومن فن الخطابة والعلوم الفلسفية . فاذا انقطع منذ حدائته الى درس الشريعة الالهية وعاش في الوقت نفسه مع رجال قديسين كان يطنب في مديح طريقة الحياة هذه وينم الحياة المالنية . لكنه لم يثبت وقتاً طويلاً على قصده بل رغب عنه وعاد الى طريقة حياته الاولى . ولاجل تدبير نفسه حسب العادة المألوفة يستشهد بمثل الاقدمين لانه كان واسع الاطلاع . فاقام في المدينة مفضلاً هذه العيشة على تلك التي اقبل عليها من قبل . فلما بلغ يوحنا انه يعيش بين اضطراب الحموم العالمية وانه كان يفكر بالزواج بعث له برسالة بليغة سواء باناشأها او بافكارها . فقرأها ثيوذورس فوقعت في قلبه وقعاً اليأس وزهد بالنفي والزواج . وبنآء على نصائح يوحنا الخلاصية تفرغ من جديد لممارسة « الفلسفة » (يجب ان نلاحظ منذ الآن ان في الذهب يستعمل في مؤلفاته كلمة الفلسفة بمعنى ممارسة الفضائل المسيحية على اكمل وجه)

(٢) ارميا ٩ : ١

(٣) رومية ١٢ : ٢٥

معي^(٢). اما انا فاقول لاصدقائك واصدقائي ابكوا معي . - ٥) ان كثيرين في عصرنا وفي عصر آباءنا نهضوا بعزم قوي بعد سقطتهم . ما دام الانسان ملقى في اتون الشهوات فهما قدموا له من الامثلة يبدو له امر الخروج منه فوق طاقته . لكن متى شرع في الخروج واخذ يبتعد عن النار يشعر شيئاً فشيئاً بخفة حداثها . - ٦) مهما كان الانسان ماوثاً بالخطايا ، ولو ثبت في خطايه الى اقصى حدود الشيخوخة ، فليس له ان ييأس . لو كان غضب الله هوى او مرضاً لكان للخاطي ان ييأس . لكن الله مته عن كل هوى فاذا عاقب او انتقم فلا يفعل ذلك تحت تأثير الغضب ، لان طبيعته لا تتأثر بالخطايا ، بل يفعل لعناته بنا وعطفه علينا . احتجاجنا عن النور لا يضر بالنور بل يضر بنا . ان الله حلیم لا يرفض التوبة الصادقة حتى في يومها . - ٧) في الذهب يستشهد على حلم الله بقصة نبوكدنصر وآحاب ومنسى وبنوى وقصة الحروف الضال والابن الشاطر الخ . - ٨) ليس من خطيئة الا ولها دواء . واهم دواء هو التوبخ كما فعل بولس^(٣) وكما فعل ايضاً مع اهل غلاطية^(٤) . - ٩) ان جهنم انما وجدت للشيطان اما نحن فخلقنا للموت السماوات . - ١٠) نار جهنم ليست كنار هذا العالم . نار العالم تلتهم ما تأخذ وتقيه اما نار جهنم فتحرق فريستها على الدوام ولا تخف ولا تنطفئ . . كيف تستطيع النفس ان تحتمل تلك العذابات وتظل فيها الى الابد ؟ لا يمكن الجسد ان يحتمل العذاب الابدی لانه ينحل . اما النفس فبما انها من طبعها لا تنحل فيمكنها ان تتعذب على الدوام . الحياة قصيرة نظراً الى الابدية . جهاد لحظة يربح لنا السماء . هذا ما يزيد في عذاب الخطاة ومن كان بوسعهم ان يكفروا في وقت قليل ، وباهمالهم استحقوا العذاب الابدی . - ١١) وصف سعادة الحياة الابدية . - ١٢) خسارة الملك السماوي لأشد وطأة من العذاب الابدی . - ١٣) شواهد على الدينونة الاخيرة (انظر اشعيا الفصل الرابع والعشرين ، وملاخيا الفصل الثالث ودانيال الفصل الخامس والسابع) . - ١٤) ثيوذورس معجب بجمال هرميوني احدي بنات انطاكية ومغرم بها . جمال الجسد ليس سوى جمال ظاهر . جمال النفس يفوق جمال السماء والارض وما فيها . يجب ان نحافظ على هذا الكثر الجميل لنبلغ الى السعادة الابدية ونتحذر من الشيطان لئلا يسلبنا اياه .

(١٥) المرض العضال لا يرجى شفاؤه ومع ذلك نطلب من الطبيب ان يعالجه لتعزية المريض . اما امراض النفس فليس واحد منها الا وله دواء لان العوارض الطبيعية لا تؤثر عليها ومع ذلك فلا نأبه لها كما انها امراض خارجة عنا . ان بين النفس والجسد ارتباطاً تاماً والنفس هي المبدأ الاول للجسد فاذا شفيت امراض النفس شفيت امراض الجسد . اذا لا تياس . اهل نينوى لم يياسوا اذ قال لهم يونان بعد ثلاثة ايام سيدمر الله المدينة . -

(١٦) النقطة الصعبة في التوبة هي الخطوة الاولى والخطى التالية تصبح سهلة . تشجع وسر بقدم ثابتة نحو السماء . لا تياس كما يئس الشيطان . انه لاقل كلفة عليك ان تقطع العلاقات التي تربطك وتبتدى . حالاً بممارسة التوبة . والا فاختر الطريق التي تجدها اكثر مناسبة لك . اني ارجوك واسألك باسم فضيلتك السابقة وبعزمك السابق في الخير ان تعود الى العلو السابق . اشفق على الذين شككتهم والذين سقطوا والذين استرخوا واخيراً الذين انثنوا عن السير في طريق الفضيلة . ان اكتباباً مظهلاً يسدل على قلوب آباءنا ، بينا الفرح والسرور يسود جماعات الوثنيين واولئك الشبان الذين يقضون ايامهم بالبطالة . اما اذا عدت الى رصانتك الاولى فعارنا ينقلب عليهم ويطمئن قلبنا حينما نرى صيتك ومجدك يكملان ببهاء جديد .

(١٧) قصة شاب غني ضل طريق الفضيلة ثم اهتدى اليها واسمه فنيكس ابن اربانوس . قصة ثانية عن رجل قضى اياماً طويلة في ممارسة الفضيلة في الصحراء مع رفيق له عاش عيشة الملائكة حتى الشيخوخة فدخل فيه الشيطان وزين له العالم فترك الصحراء وعاد الى العالم ولكنه بعد ذلك تاب ورجع الى الجبال وحبس نفسه في مغارة . - (١٨) اعادة اونيسيمس الى فيليمن . توبيخ بولس للذين لم يتوبوا . شروط التوبة : (١) الاقرار بالخطايا : لا تشكر نفسك ابداً لتتبرر بالتوبة . قضاء الخاطى . على نفسه جهراً واعتباره ذاته خاطئاً انما هي عادة توجد ايضاً عند غير المؤمنين . (ب) الندامة الصادقة والدموع المرة والقبول التام : احذر من افكار الحور والياس وهذا ما اردده لك في كل ظرف اما بنفسى واما بواسطة غيري . احفظ هذه النصيحة فكل دواء سواها لا ينفع .

هذا ملخص الرسالة الاولى الى ثيموذورس . اما الرسالة الثانية فسنوردها معربة بكاملها ان شاء الله .

١٠ ش .

عيد دخول السيدة والدة الاله

الى الهيكل

في ٢١ تشرين الثاني

للخوري قسطنطين الباشا ب م

سألنا البعض من قرآء رسالتنا المخلصية الكرام هل صحيح ان هذا العيد حديث العهد في كنيسةنا الشرقية وان لا دليل على شيوعه في كنيسة القسطنطينية قبل القرن الثامن وان لا دليل على شيوعه في كنائس البطركية الانطاكية قبل القرن الثاني عشر. وبالتالي طلبوا منا ايضاح ذلك وتحقيقه بالسندات الراهنة. فنجيب على ذلك حياً وكرامة لوالدة الاله بل قياماً بالواجب لشرفها ولشرف البطركية الانطاكية بحق هذا العيد وصاحبته الكلي شرفها ونقول:

لاشك بان هذا العيد يرتقي تذكاره بالتقليد الى عهد الرسل الاطهار اذ كان السلف منهم يروي الى الخلف فيما يحكونه عن ام يسوع معلمهم الالهي خبر تقدمتها الى هيكل الرب من والديها وفاء لنذرهما بها ولكي تتربي فيه بالقداسة والطهارة لخدمته تعالى. الا ان هذا لم يكن حينئذ الا تذكاراً تقوياً بسيطاً بدون احتفال. واذا كانت تدعوهم الحال الى زيارة الهيكل قبل خرابه او بعد خرابه من تيطوس كانوا يزورون من باب التقوى المسيحية المكان الذي كانت تقيم فيه ام يسوع. واذا كانوا زمرة كان احدهم او المتقدم فيهم يذكر لرفاقه ما تلقنه او عرفه بشأنها من السلف الصالح بالكلام الحي.

ولما ملك قسطنطين الكبير ونالت الكنيسة حريتها في عهده اخذت تحتفل احتفالاً باهراً باعيادها ولا سيما اعياد السيد المسيح ليس فقط في اورشليم وفلسطين حيث جرت حوادثها بل في كل العالم المسيحي خاصة بعد انعقاد المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥، اذ قرر وأعلن قراره في العالم ان السيد المسيح هو حقاً ابن الله المساوي له بالجوهري. وهكذا شاعت وذاعت في الكنيسة اعياد السيدة والدته كرامة له ولا سيما بعد انعقاد مجمع افسس سنة ٤٣١ اذ قرر وأعلن قراره في العالم ان مريم البتول هي حقاً والدة الاله ضد

نسطوريوس واشياعه الذين كانوا يجحدون هذه الحقيقة . ومن ثم اخذت تكثر الكنائس على اسمها تعظيماً لشأنها ولما قاما بكونها والدة الاله ولاعلان هذه الحقيقة عقيدة دينية عند كل النصرارى ما عدا النساطرة .

واذ نعلم بالتقليد ان هذا العيد قديم في كنيستنا الشرقية ولا سيما في اورشليم فلا بد ان يكون قد انتشر بالتدريج بعد سنة ٤٣١ من اورشليم في كنائس فلسطين ومنها انتشر في كنائس سائر البطريركيات الشرقية الانطاكية والاسكندرية والقسطنطينية وصارت هذه الكنائس تحتفل به كسائر الاعياد السيدية لاعلان تمسكها بهذه العقيدة الدينية ولتعظيم والدة الاله ضد نسطوريوس واشياعه في ابان حومة هذا الخلاف بين الكنيسة والنسطورية . ولم يكن حينئذ سبيل ان يبلغ هذا العيد الى رومية والاقطار الغربية التابعة لها اذ كانت في حوزة البرابرة منفصلة عن مملكة الروم الشرقية .

واذا فرضنا ان هذا الامر تم في القرن السابع او بعده كان ذلك من الامور الاعباطية بلا موجب او من الامور المستنبطة استنباطاً محضاً على فجأة بدون سبب خاص وبلا معنى .

واما موضوع هذا العيد فقد جاء الخبر عنه مفصلاً في ميمر قديم مشهور من القرن الثاني عنوانه « ميمر في خبر ميلاد سيدتنا والدة الاله . يقال في ٨ ايلول » . ثم دخل عليه فيما بعد زيادات لا دخل لبعضها بميلاد السيدة ثم نسبه بعضهم الى يعقوب الرسول وبعد الدرس الشافي تحقق العلماء الذين نشره بالطبع انه انجيل مزور او خفي Apocryphe وان مؤلفه ليس من فلسطين ولا من اليهود المتنصرين وانه اقتبس معلوماته من الاناجيل القانونية ومن روايات مسيحية قديمة لا يجلو بعضها من مبالغة واسراف . واذا عندنا من هذا الميمر ثلاث نسخ قديمة معربة عن اليونانية كتبت الواحدة منها سنة ١٥٦٠ ينبغي ان ننقل عنها ما يخص موضوع هذا العيد .

« وحين تم لها (لمريم) سنتان قال يواكيم لجنة امها قومي نذهب بها الى الهيكل ونقدمها للرب كما وعدناه . فقات حنة نصربر السنة الثالثة لكي لا تطلب امأ ولا ابأ . فقال ابوها يواكيم : يكون كما قلت . فحين تم لها ثلاث سنين قال يواكيم ابوها ندعو بنات اليهود الطاهرات ليجلن قدامها مصابيح من الشمع الملوكي ويسرن بين يدي الجارية لكي لا

تنظر الى خلفها ويأنس قلبها من هيكل الرب . عند ذلك (عند دخولها الهيكل) حملها اثنان من الكهنة وباركوها وقالوا : قد عظم الرب اسمك في سائر الاجيال . وفي اخر هذه الايام يظهر الرب خلاصه لبني اسرائيل . ثم اجلسوها على درج المذبح وحلت عليها نعمة الروح القدس التي هي روح الله . وكانت مثل الحمامة وكانت تتهلل بالروح القدس . فعند ذلك بارك عليها جميع بني اسرائيل . وحينئذ نزل والديها وهم يسبحون الله متعجبين لان مريم لم تلتفت اليهم عند افتراقهم منها وكانت كالحمامة الطاهرة وكانت في بيت الله تنشؤ وكانت تأخذ الطعام من يد ملاك الله .

واما عن نذرها لله من قبل والديها فقد قال قبل ذلك بعد ذكره لصلاة حنة بجرارة في بستانها وصلاة يواكيم في البرية : « وقف بها ملاك الرب قائلاً لها يا حنة قد قبل الرب صلاتك وستحملين وتلدن ولدأ يشيع اسمه في جميع اقطار الارض سلاماً وخلصاً وبركة . فقالت حنة حي اسم الرب اله الصباوت . ان انا ولدت وولدأ ذكرأ كان ام انثى فاقدمه قرباناً للرب الهى خادماً ومسبجاً له في هيكله كل ايام حياته . »

فالتاج اللازم من هذا ان دخول السيدة والدة الاله الى هيكل الرب واقامتها فيه اتماً لنذر والديها وعناية الله بها هناك عناية عجيبة كان امرأ مذكورأ بتقوى مسيحية ومشهورأ عند المسيحيين حتى في خارج فلسطين منذ القرن الثاني بالتقليد القديم او بالتلقين السماعي بالكلام الحي . حتى انه في اول القرن السابع صار منتشرأ في بلاد العرب بين المسلمين اذ جاء في سورة آل عمران من القرآن الشريف ما نصه :

« اذ قالت امرأة عمران : ربي اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك السميع العليم . فلما وضعتها قالت ربي اني وضعتها أنثى . . . واني سميتها مريم واني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربهما بقبول حسن . وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا . كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال : يا مريم اني لك هذا قالت : هذا من عند ربي . »

واما التصريح بان هذا التذكار التقوي صار عيداً احتفالياً عاماً في الكنيسة الشرقية فليس عندنا نص قديم صريح عليه ولعل غيرنا اوسع علماء به . لكن عندنا ادلة تاريخية راهنة على ذلك لا سبيل الى ردها وهي تقوم مقام الف نص .

الدليل الاول - ان الشيع او الفرق الدينية الشرقية التي انفصلت عن كنيسة الروم وعن الكنيسة الكاثوليكية بحكم المجمع الخلكيدوني العام المنعقد سنة ٤٥١ وهم اصحاب بدعة الطبيعة الواحدة من اليعاقبة السريان والارمن والاقباط والاحباش كلهم يختلفون بهذا العيد على اختلاف طقوسهم ولغاتهم وبلادهم منذ القديم مثل الروم وان كان بعضهم لا يبطلون العمل فيه . فلا بد اذاً انهم كانوا يختلفون به قبل انفصالهم عن كنيسة الروم والكنيسة الكاثوليكية سنة ٤٥١ .

ولا يصح القول بانهم قلدوا بشانه كنيسة اورشليم في القرن السابع او الثامن بعد انفصالهم . قلنا لا يصح لان العداء بينهم وبين الروم قد بلغ حده حتى الدم في اخر القرن الخامس الى السابع وما بعده وانقطع كل اتصال ديني بينهم واذا تقرب فريق منهم الى الروم بعض التقرب لمدة وجيزة فلم يكن هذا التقرب عاماً لهم وهم مجتمعون فلا بد اذاً من القول بانهم قلدوا فيه كنيسة اورشليم حينما كانوا يؤلفون معها كنيسة واحدة كاثوليكية قبل سنة ٤٥١ .

الدليل الثاني - ان تيبكون القديس سابا او تيبكون دير القديس سابا تأف في هذا الدير بامره وتحت نظره لترتيب اعياد الكنيسة على مدار السنة فانه يذكر هذا العيد في ٢١ تشرين الثاني برتبة الاعياد السيدية . ومن المقرر تاريخياً ان هذا التيبكون شاع استعماله مثل دستور الطقس في كنائس اورشليم وفلسطين وغيرها في حياة هذا القديس الذي توفي سنة ٥٣١ ولذلك غلب عليه عندهم اسم تيبكون اورشليم .

وان قيل انه زيد في هذا التيبكون بعد موت القديس سابا زيادات شتى نقول نعم انه زيد فيه اولاً ترنيمات او نشائد الاعياد التي ترتل فيها بالخانها المعروفة مما اخذ يشيع استعماله في حياة هذا القديس ثانياً زيد وضع اعياد القديسين الذين عاشوا وماتوا بعده . لكن هذه الزيادات لم تتناول وضع اعياد جديدة لحياة السيد المسيح وحياة والدته . فانها كلها قديمة الوضع في الكنيسة كما قدمنا .

ثم لا ريب بان هذا التيبكون وفيه عيد دخول السيدة قد شاع استعماله في كنائس البطركية الانطاكية قبل شيوعه في كنائس البطركية القسطنطينية بحكم قرب الجوار والاتصال بينهما وبفضل نفوذ رهبان فلسطين القديسين الذين كان معظمهم من بطركية

انطاكية الواسعة الارزاء بما لا يسعنا بسطه في هذا المقام .
ولتأييد ما قلنا عن شيوع هذا التبيكون في كنائس البطركية الانطاكية ان احد رهبان اليونان واسمه نيقن كان في القرن الحادي عشر رئيساً لدير مار سمعان العمودي في الجبل العجيب الذي يقال له ايضاً الجبل الاسود من اشهر اديرة البطركية الانطاكية صنف المذكور باليونانية تالياً جامعاً لاقاويل الابهاء القديسين القدماء . لايضاح حقائق الدين المسيحي وادابه دعاه « الحاوي الكبير » ^(١) . طالعنا منه نسخة عربية في مكتبة الواتيكان كتبت في القرن الثاني عشر . وعندنا منه نسخة ثمينة بخط يد جبرائيل لباد الحلبي المشهور بجبال خطه في اوائل القرن الثامن عشر . وفي « المقالة السابعة والحسين في الاعياد والاصوام » ذكر مراراً هذا التبيكون باعتباره دستوراً للطقس في كل الكنائس من عهد قديم . وختم هذه المقالة بنقله عنه « جدول الاعياد السيدية واعياد والدة الاله التي يبطل العمل فيها » . وفي هذا الجدول يذكر صريحاً « الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني عيد دخول السيدة والدة الاله . فيه ذكص الوجيا مغالي . ويؤكل فيه مرتين طعام بزيت وصمك (اذا وقع الاربعاء او الجمعة) ويبطل فيه الاخوة عن العمل » ^(٢) . ربما يعارضنا معارض بان ابا ريجان البوريني من علماء الاسلام في القرن الحادي عشر ذكر في كتابه الموسوم بالاثار الباقية جدول الاعياد عند الملكيين خالياً من ذكر هذا العيد . ويستنتج المعارض من ذلك ان هذا العيد لم يكن لذلك العهد معروفاً عند الملكيين في بطركية انطاكية .

نجيب بان لا قيمة لهذا الاعتراض السلبي مقابل شهادة الاب نيقن الايجابية السابق ذكرها من تبيكون القديس سابا وشهادة سعيد ابن بطريق اولاً لان هذا الجدول ناقص كثيراً اذ خلا من ذكر اعياد وتذكارات حجة ومهمة . ثانياً من عنوان هذا الكتاب « الاثار الباقية من القرون الحالية » دليل واضح على نقص الجدول اذ المراد به انه اثر

(١) اخبرنا صديقنا الاب العالم المعروف الارشمندريت Père Placide de Meester

انه يعمل من نحو خمس سنوات على مقابلة نسخ هذا الكتاب المخطوطة لينشره بالطبع

(٢) راجع تاريخ سعيد ابن بطريق بطريك الاسكندرية من القرن العاشر عن شيوع هذا التبيكون في كنائس بطركية الاسكندرية صفحة ٦ من الجزء الثاني من طبعة بيروت .

قديم من اثار الروم في خوارزم الاسلامية . ويؤيد ذلك سياق كلام المؤلف بذكر اعياد المجوس واليهود والصابئة وعرب الجاهلية من الاسم البائدة . ثالثاً لان البوريني مسلم غريب عن النصرانية وعن انطاكية وبلادها وقد عاش اربعين سنة في بلاد الهند . فهو اذاً جاهل لطقوس الملكيين واعيادهم ولا يصح الاعتماد على علمه ولا على قوله ولا على نقله بشأن اعيادهم . ومعروف ان بورين من بلاد خوارزم التي هي اليوم من خانية خوى من تركستان من املاك روسيا في شرقي بحر قزوين . وقد صنف كتابه المذكور وقدمه الى شمس المعالي قابوس سلطان خوارزم كما يذكر ذلك في مقدمة كتابه المطبوع وعندنا نسخة منه وقصده بهذا الكتاب ايضاح الحوادث الجوية او الفلكية بالاعتماد على جداول الاعياد القديمة في خوارزم فلم يكن اذاً من همه ولا من قصده ان يتحرى الدقة بذكر كل اعياد النصارى . وعلاوة على هذا فان مراده بالملكائية الروم على الاطلاق كما يتضح من قوله في اول هذا الجدول (الملكائية هم الروم وليس بالروم سواهم) .

وصفوة القول ان من يستظهر بسكوت البوريني بشأن هذا العيد كمن يستظهر بالعدم ولا يلجأ ان يكون غالباً لم يفهم مراد البوريني او مغالطاً لغرض في نفسه ليس فيه حق ولا صدق .

الدليل الثالث - من المشهور في تاريخ كنيسة اورشليم ان البطريرك ايليا (٤٩٣ - ٥١٥) شيد كنيسة على اسم والدة الاله في موضع خراب الهيكل لم يتيسر له ان يكملها غلب عليها في اورشليم اسم الكنيسة الجديدة (Νέα) . فلا بد اذاً ان يكون سابقاً هناك كنيسة على اسم والدة الاله تحليداً لذكر اقامتها في هيكل الرب . والا لما كان لهذه التسمية ولا لهذا اللقب معنى اصلاً .

ثم لما قابل القديس سابا الملك يوستينيانوس الكبير سنة ٥٣٠ لشكوا اليه ما فعله السمرة في كنائس فلسطين واهلها بشورتهم المشهورة التمس منه ان يكمل بناء هذه الكنيسة . فأمر الملك المذكور ان تشيد هناك على نفقته كنيسة على اسم والدة الاله تكون من اعظم كنائس العالم . ولما تم بنائها وزينتها تكرست في ٢١ تشرين الثاني سنة ٥٤٣ باحتفال عظيم نادر اشترك به كل اهل اورشليم واهل فلسطين وقد حضر هذا الاحتفال كيرلس المؤرخ الفلسطيني لذلك العهد من بلدته بيسان .

وقصارى الكلام ان في تشييد هذه الكنيسة في موضع خراب الهيكل من البطريك ايليا على اسم والدة الاله بلقب الكنيسة الجديدة ثم في اعادة بنائها باوسع مما كانت من الملك يوستينيانوس الكبير وتكريسها في ٢١ تشرين الثاني معاني بارزة للدلالة تتساقط كلها وتعزز بعضها لتقوم بمقام برهان ساطع وقاطع كل شك على ان هذا العيد كان يحتفل به هناك احتفالاً عظيماً وان لم يصرح المؤرخ المعاصر باسم العيد . ولعله كان يعتبر ان هذا التصريح من باب تحصيل الحاصل الذي لا حاجة اليه .

على اننا لا نجهل ان بعض علماء الآثار الغربيين ابدوا في هذه الايام شكاً بموضع هذه الكنيسة لطموس اثارها . لكن مهما كان شكهم بشأن مكانها فلا يورث هذا الشك شيئاً في حقيقة قيامها باسم والدة الاله وبلقب الكنيسة الجديدة ولا بحقيقة عيدها في ٢١ تشرين الثاني من سنة ٥٤٣ سواء كانت هذه الكنيسة في المكان القائم فيه اليوم المسجد الاقصى كما يقرر التقليد او على طرف ساحة الحرم او في جوار هذه الساحة اذ انهم اتفقوا مع المؤرخين على انها كانت على اكمة عالية من الجهة الجنوبية الشرقية في اورشليم مما يوافق وصفه جبل الموريا الذي بني عليه هيكل سليمان او احد سفوحه . على ان التقليد المكاني عند الروم سكان اورشليم وفلسطين الذي تسموه خلفاً عن سلف منذ القديم انها كانت بمكان المسجد الاقصى وهو غير جامع عمر المعروف بجامع الصخرة .
الدليل الرابع - ان القديس اندراوس رئيس اساقفة اقريطش ولد في دمشق في النصف الثاني من القرن السابع وتثقف وشب في اورشليم بخدمة كنيسة القيامة الى سنة ٦٨٥ فأرسل بوفد الى القسطنطينية ولبث هناك حتى ارتسم ثمناً وارتقى الى كرسي رئيس اساقفة اقريطش نحو ٧١١ . والقديس المذكور خطيب عظيم وشاعر ديني مشهور وله عدة ميامر باليونانية قالها في هذا العيد لم تزل غير مطبوعة^(١) وقد نقل احدها لنفسه الى لغتنا العربية كان يقال في كناستنا في هذا العيد طالعنا في عدة نسخ مخطوطة قديمة وعندنا منه نسخة كتبت من نحو ٢٥٠ سنة هذا عنوانه « ميمر للجليل في القديسين اندراوس رئيس اساقفة اقريطش . قاله في عيد دخول سيدتنا والدة الاله الى الهيكل . يقال في ٢١ تشرين الثاني » .

(1) V. Revue des Echos d'Orient, 5^{me} p. 221.

وهو خطاب بديع في بيان محاسن هذا العيد الشريف ومدى صاحبته والدة الاله
بآيات ممتنسة من اسفار الانبياء والمزامير تصرف بها الخطيب القديس بشرح محكم
أثبت ان معاني هذه الايات تجسست وتحققتم تماماً في والدة الاله . ولولا ضيق المقام لكننا
نشرناه كله لكن نكتفي بايراد شيء منه مما يخص موضوع هذا العيد . واوله « باسم عظمة
الله المسبح في علو عرشه نبتدي ونقول : اذا كانت الارض تُسبح بالشجر ، او يُقدر عرض
(غور) البحر يُحيط المساحة ، او تقاس السماء بالاذرع ، او يُحصى عدد نقط الاطوار وهبات
الارياح ، او كانت تُعد كثرة النجوم و كمية الرمال ، فلعل ما بدأنا به يكون له ادراك
لان هذا العيد هو عيد والدة الاله ، والموسم الحاضر هو دخول الصبية الالهية الدائمة البتولية
الى الهيكل المدعو قدس القديسين . »

ثم يقول : « اذ ابنتي لذاته من احشآء حنة النقية هيكلآ مكرماً دخل فيه رئيس
الكهنة العظيم وحده فكهن اي مارس وظيفة الكاهن بتقديم الذبائح والبخور ، وسعى
بمصلحتنا بتدبير لا ينطق به ، وأخذ مسكنتنا بما يفوق الطبع ، اي تجوهر من جوهر
بشرتنا لان الله ذكر ارياه ولم يغفل عن جبلته . فأحضر وأعد من راس (اول) السر
عجيبة بديعة في حنة العفيفة ام والدة الهنا . وكانت مشتملة بغاية الحزن وكان قرينها
يواكيم الموقر منحصراً ايضاً بكثرة الغم لاجل عقريتها . فلما توسلا الى الرب وطلبنا منه
ثمرة النخى الله تبارك اسمه الى تضرعها ، ومنحها ولداً اكرم من الشاروبيم واشرف من
السارافيم . وبعد ايام من ولادتها قدما ثمرتها الالهية الى هيكل الله اذ مزعة ان تصير
بالحقيقة هيكلآ حياً لابن الله . فارتبت هذه الابنة المباركة في قدس القديسين موشاة
بالايمان والحكمة والبتولية منزهة عن كل معاب الى حين ورد خطيبها يوسف ابن داود
فقتلها من الكهنة . »

واذ لا نجد في هذا الميمر كلمة تشير على ان قائله قاله في اورشليم او في احدى
كنائسها يسوغ لنا ان نستدل أولاً انه قاله وهو شماس او مطران في احدى كنائس
القسطنطينية او كنائس اقريطش التابعة لبطركية القسطنطينية . ثانياً ان هذه الكنائس
كانت تحتفل حينئذ بهذا العيد احتفالاً عظيماً عاماً من « شعب المسيح » كما يصرح
بذلك . وهكذا اذ لا نجد في هذا الميمر كلمة تم على ان هذا العيد كان جديداً او

حديث العهد في كنائس بطركية القسطنطينية يحث لنا ان نستدل باستقامة ان هذا العيد كان اقدم عهداً من صاحب هذا الميمز اذ لا يذكر له ابتداء كما انه كان اقدم عهداً من ناظمي قوانين وانشيد هذا العيد وتقدمته التي نتاوها في كتاب الميناون وغيره .

على ان هذه الادلة تتساقق كلها معاً ويعزز بعضها بعضاً بقطع النظر عن سواها التي عدلنا عن بسطها قصد الايجاز . ونحن لم نذكر ما ذكرناه من الانجيل المزور الا باعتبار انه صدى التقليد القديم مثل شهادة من الخارج او فضلة زائدة قد نستغني عنها . ومعاذ الله ان نقول مقال بعض العلماء الغربيين بان ابائنا القديسين استوحوا من هذا الانجيل تفاصيل موضوع هذا العيد مع انهم يبنذون كل مؤلفات الزور .

هذا ما رأينا ان نبسطه عن تاريخ هذا العيد في كنيسةنا الشرقية بقدر طاقتنا او على قدر ما وسعنا المقام بما نرى فيه البيان الكافي لرغبة الطالب وافادة القراء الكرام .



(١)

بحث في قداثة تريزيا الطفل يسوع

« ان لم تصيروا كالأطفال فلن تدخلوا ملكوت السموات »

قال احد الكتبة : « ان الله الذي ينمي في حقولنا السنابل لتتغذى بها، والكتان لتلبسه ، ويجري في النبات العناصر الشافية، ويخلق الصنوبر الذي لا يهاب المياه، هو ذاته ينبت الزهرة التي تكشف له وحده نسيجها الدقيق والوانها الزاهية، وتصد الى السماء اريج كمها ، ثم تموت دون ان يدري بها احد . »

ان هذه الكلمات الشعرية مرآة حياة القديسة تريزيا الطفل يسوع تنطبق عليها اجمل الانطباق . عاشت هذه القديسة المحبوبة متواضعة وادعة وضيعة كالازهار المجهولة على ضفة المياه ، تصعد الارجح ذكياً نحو خالقها وتقرب له جمالها الخفي على مذبج

(١) قد اعتمدت في هذا الدرس على كتاب « زهرة حب في بستان الرب او تاريخ نفس »

تعريب الخوري يوسف عواد وعلى تأليف حضرة الاب بيتو Petitot « قديسة ليزيو : فضة روحية » .

حبه الالهي لا مطمح لها سوى ان تنال رضاه هو وحده .

ان لكل من اولياء الله ميزة خاصة به . وميزة القديسة تريزيا الطفل يسوع انها بلغت الى ذروة القداسة دون ان تأتي في حياتها عملاً خارق العادة شأن القديسين القدماء الذين جاؤوا بالآيات والمعجزات الباهرة وسلموا اجسادهم دون شفقة للسياط والجلد الدامي والاصوام الطويلة وضروب الاماتات المضنية ، مما يجلب اليأس للنفوس الضعيفة وجللاً وهلعاً ويوقفها صاغرة قانطة . وانما اكتفت باتمام واجبها اليومي بكل دقة ، نافثة في كل عمل من اعمال حياتها العالمية والرهبانية معها كان وضعاً روح الايمان الحي والمحبة الساذجة ، وجاءلة الكمال في مقدور الجميع حسب قول السيد له المجد : « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل . » في هذه العيشة الهادئة البسيطة المبنية على الثقة التامة والسخاء الفطري وروح الطفولة يقوم سر قداسة تريزيا الطفل يسوع وسر تعلق القلوب بها .

وقد قصدنا في هذا البحث الموجز ان نبين ان هذه البساطة الروحية هي ميزة حياة القديسة تريزيا ، تجعل قداستها في متناول كل الانفس المسيحية المتقية . وهي تبدو في كل اطوار حياتها القصيرة البطولية . فلا اماتات شاقة ، ولا اسلوب سام في الصلاة العقلية ، ولا مواهب خارقة او عجائب او معجزات . وعلى ذلك سنقسم موضوعنا الى ثلاثة بنود :

اولاً . البساطة في الاماتات .

ثانياً . البساطة في الصلاة العقلية .

ثالثاً . البساطة في مظاهر الحياة الفاتحة الطبيعية والمواهب الغير الاعتيادية .

١ . البساطة في الاماتات

دخلت تريزيا دير الكرميل في ليزيو في ٩ نيسان سنة ١٨٨٨ ومنذ اول يوم من حياتها القانونية تجلت لآخواتها الراهبات قدوة في حفظ النظام الرهباني . فهتمت ان السكوت هو اساس النسك المسيحي ، يفسح المجال لسماع صوت الله وهمسات الروح القدس الذي يكلم النفس في العزلة والسكينة ، وعرفت ان لا حياة داخلية عميقة

بدونه ، فاجتته واعتصمت به . وهذا ما كُتب عنها في هذا الصدد في دعوى قداستها :
 « كان الصمت قوتها ، تلقته عن مريم العذراء التي آثرت احتمال اشنع التهم على ان
 تعتذر الى القديس يوسف وتكشف له سر التجسد . . . على مثالها كانت تود ان تحفظ
 كل شيء في نفسها من افراح واطراح فوجدت قوة في ذلك التحفظ الصامت ومنه
 ابتدأت سيرها نحو الكمال . . . »

بعد دخولها الكرمل بايام قلائل كلفت اختها الراهبة مريم قلب يسوع الاقدس
 ان تعلمها طريقة تلاوة الفرض من مزامير وقراءات وغيرها . وبعد ثلاثة اسابيع رأت
 نفسها في غنى عنها ، فقالت لها بكل تودد : « اشكرك يا اخية . يا ما احبلى البقاء
 بقربك ، وم اراني سعيدة معك ، ولكن لا بد من ان احرم نفسي هذا السرور . »
 وحرصاً منها على حفظ النظام والسكوت كانت القديسة تريزيا لا تتأدى في الحديث
 او تطيل اوقات المقابلات ، بل اذا ما دلت الساعة الرملية على انتهاء الوقت ، كانت
 تنهض فوراً وتومى الى فيقاتها بالذهاب ثم تعود بهدوء ووقار الى غرفتها . كانت تعيش
 كأنها لا يربطها بالعالم شيء البتة ، لا تكترث للاخبار والمحادثات الا اذا فرضها عليها
 القانون او اوحتها لها فضيلة المحبة . واذا مرت بالقرب من رفيقات لها متجمعات يتبادلن
 اطراف الحديث كانت لا تتوقف ، بل تتابع خطواتها محتشمة النظرات غرقى في تأمل
 مستطيل .

ولم يكن هذا التخضع العميق ، وتلك المحافظة الدقيقة على النظام نتيجة شعور
 تقوي يزول مع زوال الحرارة الداخلية ، انما كان ذلك مبنياً على ايمان متين ترك
 اجمل وقع في نفوس من عاشرها . وهذا ما كتبه عنها الام اغنس يسوع : « عندما
 رأته الراهبات شديدة الاهتمام في ادخال تريزيا الى الكرمل ، نسين الي بعض الحقبة
 وعدم الثروي في قبول فتاة كهذه صغيرة السن ، وتوعدني بالفشل وخيبة الآمال ،
 ولكن يالعلم دهشهن عندما رأين ما كانت عليه من الرصانة والفتنة . فنظرها
 وحده كان يوحي المهابة والخشوع . »

قلنا ان القديسة تريزيا لم تقم باهات شاقة ، انما يجب الانسى ان مشاربتها على حفظ
 القانون مجذافيره ، وسهرها الدائم على ان لا تفوتها امانة ما مها بدت صغيرة ، واستعدادها

الداخلي لالتقاط همسات الروح القدس، كل هذا كان كافياً لان يجعل من حياة القديسة تريزيا الطفل يسوع حياة بطولة رفعتها الى مصاف القديسين العظام .
 اجل ، حياة بطولة ، ولكنها نمت تحت ستار من التواضع وظلت خفية عن اعين البشر الى ان اضطرت القديسة تريزيا الى التكلم عنها وهي على فراش الموت فظهرت تلك الحياة سلسلة طويلة من الامانات المتنوعة كانت تعتبرها القديسة كورود عطرة تنثرها يومياً على قدمي عروسها الالهي . ودونك النموذجاً من تلك الامانات :
 ذاق من البرد اشد العذابات مع انها لم تشك ذلك لاحد ، بل بالعكس كانت تعلم المبتدئات الموكولات اليها، وتقرن تعليمها بالفعل ، ألا يرتعش ايام الجليد والبرد القارس ، او يفركن ايديهن او يمشين منكمشات . كانت لا تنظر الى التصاوير ، واذا بدرت منها يوماً ما نظرة الى صورة في احدى الصحف، حسبتها خبيثة واعترفت بها نادمة متأسفة . كانت تأخذ الادوية المرة جرعات متتالية . وتحرم نفسها من قراءة الرسائل المثنية على قصائدها . واذا ساعدت شقيقتها الاخت اغنس يسوع في تدبير المائدة ، رأيناها لا تنطق الا بالكلمات الضرورية للخدمة ، مع انها كانت تشعر بميل شديد الى محادثتها وفتح قلبها لها ، وهي كما تدعوها « امها الصغيرة » . وفي بدء حياتها الرهبانية كانت تحب اقتناء كل شي جميل ونظيف في غرفتها ، فضحت بهذا الميل وصارت تحسب نفسها سعيدة اذا لبست ثوباً مرقعاً، او استعملت قنديلاً مكسوراً او كتبت قصائدها على غلافات قديمة واوراق بالية .

ورب قائل يقول : « ان امانات كهذه يستهان بها ، فالزهد الحقيقي لا يعبأ بدقائق الامور ، بل يطمح الى كبير التضحيات » . فنجيب ان الامين في القليل امين ايضاً في الكثير . ونضيف بلا تردد ان القديسة تريزيا امتازت وحدها بين القديسين اجمع - ما عدا العذراء المحيدة والقديس يوسف - بهذه الامانة في صغير الاعمال ، فكانت هذه الامانة سبب قداستها السامية .

بيد ان هناك ملاحظتين جوهريتين نبديهما تكملة لما نحن فيه . كانت القديسة تريزيا تحذر النفوس الموكولة الى عنايتها ألا يعاتبها روح القلق والاضطراب في السعي وراء الامانات الصغيرة . فالقلق يثقل النفس ويعيقها في صعودها نحو الكمال .

انما كانت تطلب منها القيام بواجبها اليومي مع ما يتخلله من اماتات وصعوبات، وذلك بروح السخاء والبساطة والهدوء العذب.

ثم ان تلك الاماتات الصغيرة المتعددة لم تكن لتنافي ما تفرضه الكنيسة والحياة الرهبانية من اصوام وقطاعات وافعال تقشف . فالقديسة تريزيا حافظت على الصوم محافظة شديدة ، وكانت تجلد نفسها ثلاث مرات في الاسبوع ووجهها متهلل فرحاً . وخلاصة القول ان القديسة تريزيا ، على مثال نوابغ الكنيسة ، لم تقلب راساً على عقب اساليب الزهد الرهباني والحياة الروحية ، انما مع المحافظة على تعاليم الانجيل فيما يتعلق بالاصوام والقطاعات ، اخذت عن آباء الهراي حب السكوت والعزلة ، وعن قديسي القرون الوسطى استعمال المسح والسياط ، نافذة في كل ذلك روح سخاء وامانة عظيمين . واليك آخر ما نطقت به : « ان أحب ما اريد ان القنه للنفوس هو طريق الطفولة الروحية وما تقضيه من ثقة وتسليم . تام فادهم على الوسائل الصغيرة الفعالة التي استعملتها . وهي ان يكون شغلنا الشاغل وهما الوحيد على الارض نثر زهور الاماتات على اقدام الحبيب . »

وعليه ان كان ضعف مزاجنا لا يسمح لنا بالاسهار والاصوام الطويلة وسائر ضروب التقشفات الشاقة، فيبقى لنا على الاقل ان نارس من الاماتات صغيرها معتصمين بالسكوت لثلاث نطق نطق اجر اعمالنا ، وبعض العزلة لثلاث يلهينا البشر عن التفكير بالله ، محتملين بصبر المعاكسات التي تأتينا من الغير او من انفسنا لما فينا من نقائص طبيعية وادبية، واتقن برحمة الله الغير المتناهية . وهكذا بسيرنا على طريق الطفولة الروحية التي ترشدنا اليها القديسة تريزيا الطفل يسوع ، نجد الكمال الحقيقي المنشود .

٢ . البساطة في اسلوب الصلاة العفوية

لا شيء في سيرة القديسة تريزيا المكتوبة بيدها او في رسائلها وقصائدها او ملف دعوى قداستها . يشير او يلمح على الاقل الى ان لهذه القديسة اسلوباً في الصلاة العقلية خاصاً لها . فطريقتها في التأمل أن لا طريقة لها ، واذا اضطررنا الى تحديدها نقول : هي الرجوع الى الاساليب القديمة التي تماشى اميال النفس العميقة وحريتها الفطرية، والتي

سار عليها النساك وآباء الكنيسة الاقدمون . فهؤلاء لم يnehجوا في صلاتهم العقلية اسلوباً منسق الاجزاء مركباً من مقدمة ونقاط ونتائج عملية انما ظهرت هذه الاساليب مؤخراً في القرنين السادس عشر والسابع عشر مع القديس اغناطيوس دي لويولا مؤسس الرهبانية اليسوعية، والقديس فرنسيس السالسي والكردينال دي بارول ، والسيد اوليه، فراجت كثيراً في الاوساط الرهبانية وساهم في انتشارها الروح العلمية والهندسية المنبعثة اذ ذاك بفضل الفيلسوف دي كارت والعالم باسكال وغيرهما .

نشأت تريزيا على روح التقوى وحب التأمل وفي نفسها نزوع فطري للاختلاء والتفكير ، لا تدع فرصة لتحقيقه الا انتهزتها . وفي الحادث التالي الذي روته في سيرة حياتها شاهد على ذلك : كان ابوها مولعاً بصيد السمك فترافقه كلما كان الطقس جميلاً . فاذا كان شغلها اiban ساعات الانتظار ؟ - « كنت احياناً احاول بنفسي الصيد بصنارتي ، وفي اغلب الاوقات كنت افضل الجلوس على حدة فوق العشب بين الزهور . حينئذ كنت اغوص في بحر الافكار ، ونفسي تنبه في صلاة عقلية محضة ، على غير معرفة مني باهية التأمل . فكنت اصغي الى الاصوات البعيدة ، والى زمزمة الريح التي كانت تحمل الي احياناً من المدينة بعض الحان غير واضحة من الموسيقى العسكرية فتبعث الي فؤادي شجوناً استلذها فارى ان الارض ليست الا منفى فأتوق الى السماء . » هذا نوع من التأمل كانت تميل اليه طبعاً ، تأمل تتغلب فيه الخيلة والشعور الرقيق على العقل الصرف ، وتحوم فوقه سحابة خفيفة من الكتابة ، فتظهر الارض قاحلة كنفى ، وحزينة كوادى دموع ، فتود النفس لو تفلت من اغلالها لتطير على اجنحة الحنين نحو السماء ، وطنها الحقيقي .

واخذت تقوى تريزيا تزايد مع الايام حتى اصبحت الصلوات الشفهية تضيق عن تعبير ما يجتليج في نفسها من الشوق الى الله . فطلبت من شقيقتها ماري ان تعلمها كيفية التأمل فتأذن لها بتخصيص نصف ساعة كل صباح للصلاة العقلية ، فامتعت حرصاً منها على صحتها النجيفة ، وتريزيا اذ ذاك لم تكن تتجاوز الثامنة من عمرها . ولكن عادت وطلبت ذلك بالحاح الى احدى رفيقاتها في المدرسة وكانت هذه رئيسة اخوية العذراء فباعت تريزيا بالفشل .

وفي السنة التاسعة من عمرها اثناء تفكيرها الجدي بدعوته الرهبانية وحياة الكرمل التأملية ، انكشفت لها بنوع جلي اسرار الصلاة العقلية التي طالما تشوقت الى معرفتها، وصارت تتوخى العزلة للاتحاد مع الله على حسب ما كتبه : « سألتني احدى معلماتي عن سلواي ايام العطلة فاجبتها : «يا سيدي، كثيراً ما اذهب فاختبي . في عزلة غرفتي وراء سجوف سريري وهناك اتأمل . فاحلت معلمتي وهي تبسم : «وباي شيء تتأملين ؟ - فقلت اتأمل بالله وبزوال الحياة ، وبالابدية . . . اتأمل وكفى . . . اجل افهم اليوم اني كنت اذ ذاك اقوم بصلاة عقلية حقيقية كان يوحىها الي المعلم الالهي . »

وفي تلك السنة تقربت شقيقتها سيلين من المناولة الاولى ، فكان ذلك حافزاً لتريزيا حرك في قلبها عواطف الشوق الى الاتحاد بيسوع في القربان اذ ذاك للتقرب من المناولة ، ولكن حبها الشديد للافخرستيا وجرأتها المقدسة ذال كل الصعوبات فنالت من البابا السماح بتحقيق امنيتها قبل إكمالها السن المطلوبة .

واننا لنقصر عن وصف مناولة تريزيا الاولى وعمما سبقها من حسن استعداد . واما عن شكرها بعد تناول فحدث ولا حرج . فقد تم في وابل هادى . من الدموع العذبة . وقد ادركت في تلك الساعة بالهام فائق الطبيعة كنه المناولة ومفعولها في شركة القديسين ، اذ يكفي ان نتحد بيسوع ليمت اتحادنا فعلياً مع انفس الموتى والغائبين . وقد قالت في ذلك : « زارني يسوع فشعرت بزيارة امي المحبوبة . . . ولم يؤسفني غياب بولين عني لاني كنت اعلم ان المناولة تجعلني اتحد معها كل الاتحاد . » فانت كلماتها هذه تفسيراً رائعاً لآية القديس بولس في رسالته الى الكورنثيين : « اننا جسم واحد ونحن الذين اشتركنا في الخبز نفسه وفي الكأس نفسها . »

وهنا لا بد لنا من القاء نظرة سريعة على عبادة تريزيا للافخرستيا . فنقول : رأت في بدء حياتها الا تستأذن مرشدها في الاكثار من المناولة ، ولكن بدأت رأيها سريعاً في هذا الشأن فقالت : « ان الله لا يتزل يومياً من السماء ليقى في بيت القربان ، بل ليجد سماء اخرى في نفسنا . » واصبح لا يصددها عن المناولة شيء . . . فقد أقيمت مراراً على اثر المناولة منهوكة القوى في غرفتها ، جالسة على مقعدها الحشن ،

مستندة الى الحاجز الخشبي الفاصل بين غرفتها ومبعد العذراء، واذ نهبتها الرئيسة الى ذلك اجابت : « اني احتمل كل عذاب ولا اخسر مناولة واحدة . » واي شيء يا ترى كان يدفعها الى التناول بتواتر ؟ هل الطمع بالتعزيات الروحية ؟ كلا . بل هو الايمان وحده بمفاعيل القربان قوت النفوس وقوتها . وهوذا ما كتبت عن نفسها : « ماذا اقول لك يا امي عن شكراني يسوع في ذلك الوقت وفي كل وقت ؟ لم ير بي زمن كنت اشعر فيه بتعزية اقل مما اشعر به في ذلك الزمن . أو ليس الامر طبيعياً ، لاني اود ان يزورني يسوع الحبيب ليس لاجل مسرتي بل لاجل مسرته فقط . . . فاني اتمل نفسي ارضاً حرة واطلب الى العذراء القديسة ان ترفع منها الخراب اي النقائص وان تنصب فيها مظلة فسيحة تليق بالسماء ، ثم أستدعي جميع الملائكة والقديسين ليأتوا ويرغوا اناشيد الحب . . . غير ان ذلك لم يكن ايمنع تشبث الافكار والنعاس من ان يزعجاني وكثيراً ما كنت اعزم على مواصلة شكراني النهار بطولة بداعي اني لم اقم به حق القيام في الخورس . »

اجل انه قصد جميل ان تتابع شكرها طيلة النهار ، ولا عجب فتريزيا طلبت من الله بلهف شديد ان يبقى حسيماً في قلبها طيلة النهار تحت اعراض الخبز كما هو في بيت القربان . ونعتقد مع كثيرين ممن درسوا حياة القديسة تريزيا درساً عميقاً، ان الله استجاب طلبتها وحقق امنيتها بنوع عجيب، فاتخذ من قلبها مسكناً له، واصبح محور افكارها وعواطفها، لا يلهيها عنه شيء . فتقضي الساعات الطوال في مناجاته هائمة في عالم غير منظور .

ومجمل القول ان الصلاة العقلية التي كانت تمارسها القديسة تريزيا تختلف كل الاختلاف عن التأمل المنظم التقسيم . فعقلها لم يكن ليطبق الحصر ضمن قواعد قياسية وذاكرتها لم تكن لتساعد على الحفظ ، حتى انها كانت تعجز عن اتباع القديس حرفياً مع انه كان لديها كتاب تستعين به . كثيراً ما كانت تبدو ساهية اثناء الذبيحة فتضطر رفيقاتها الى تنبيهها فتسمع في الكتاب حيناً ثم تعود وتطير على اجنحة الشوق والهيام وان شهادة كاهن دير الكرمل الاب دومين غيثة جداً فهو يقول : « ان تريزيا وان بدت مشتتة الافكار اثناء الذبيحة الالهية ، الا انها ليست بالحقيقة كذلك . فكل

مرة كانت احدى رفيقاتها تدلها على الصلوات الواجب تلاوتها في الكتاب ، كانت القديسة تبسم لها شاكرة وتتبع ممثلة ثم لا تعتم ان ترفع رأسها وتذهب على غارب الاحلام محلقة في الاعالي . ان حركة كهذه لا تعنى تشتيتاً بل صلاة عقلية .

قال القديس فرنسيس السالسي في كلامه عن التأمل : « ان التقسيم والتنسيق في موضوع التأمل هو للفكر بمثابة القفص للعصفور يضطره الى عدم التشتت . » فكرة جميلة في تشبيه طريف . انما هناك نفوس كمصافير لطيفة لا تطيق الاسر في قفص ، بل تظل تنوق الى النور والفضاء ارحب الى ان يستوجفها الحنين . ومن مصف تلك النفوس كانت القديسة تريزيا ، وقد اوضحت مثلاً للنفوس الساذجة الوداعة التي تحيفها الطرق الصعبة والاساليب العلمية للوصول الى الكمال . وهذا ما كتبتة لاحد المرسلين :

« ان بعض الكتب تظهر الكمال بمظهر قاسر ، صعب المنال ، فلا اقرأها حتى يعاريني من جرائها تعب شديد وصداع مؤلم ، فاطرحها عني مستغنية . . . اجل ان كتباً كهذه وضعت للنفوس الرفيعة والعقول السامية ، واني غير آسفة على ألا اكون منها ، بل اعدني سعيدة ان اكون وضيعة ، لان للاطفال وحدهم وللذين يشبهونهم حقّ الدخول في ملكوت السماوات » .

المحوري الياس السكاف

(لها بقية)

سئلت يوماً القديسة تريزيا لماذا تبدو فرحة فوق المعتاد فاجابت بابتسام : « لاني التزمت اليوم ان احتمل بعض الشدائد البسيطة ، ولا شيء يسرني كما تسرني مثل هذه الشدائد » .

« لو افترضتُ بالمستحيل ان الله نفسه لا يرى اعمال الصالحة الطفيفة لما تكدرت . فاني احبه بمقدار عظيم يحلمني على ان اجتهد دوماً في ارضائه بحبي وتضحياتي ، حتى لو لم يكن عالماً انما صادرة مني » .

« يمكننا ان نختل اموراً كثيرة لاجل محبة الله بين هنية واخرى » .

« سأقضي ساعاتي في السماء بعمل الخير على الارض » .

« كم اكون شقية في السماء اذا لم يكن يتاح لي ان اعمل فيها خيراً للذين على الارض » .

(من كلام القديسة تريزيا واعتباراتها المتفرقة)

المسايخ اليازجيون

بقلم الاستاذ عيسى اسكندر المولوف

صابات زوجة الشيخ ناصيف

صابات (تحريف الیصابات بلغة العامة) هي ابنة ابي ابراهيم موسى نصره من اسرة الطويل الدمشقية . انتقل موسى هذا باولاده الذكور الثلاثة ابراهيم ونخله وروفائيل وبناته السبع الى بتدين لان الامير بشيراً الشهائي الكبير حاكم لبنان طلب من والي دمشق مهندساً بناثياً (وهو الذي يسميه الدمشقيون (ألفا) وغيرهم يسميه (رازاً) اي رئيس البنائين) فارسل الوالي الى الامير بشير موسى هذا فاشتغل في قصر الامير في بتدين رئيس بناثين فلقب بالشامي . ومن بناته السبع صابات هذه .

ولدت صابات في دمشق سنة ١٨١٣ وعرفت القراءة والكتابة وترعرعت على اخلاق سامية وذكاء فطري ونشأت بصحة جيدة فكانت تجتمع بزوار والدها عند الامير ومعظمهم ممن في ديوانه مثل المعلم بطرس كرامه الحمصي والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ مرعي الدحداح ويوسف عمون وغيرهم .

فاكتسبت بمجالستهم حسن المحاضرة وطلاقة اللسان والميل الى المطالعة فرضت مرة وطبها الشيخ ناصيف لانه كان قد تلقن الطب عن والده الشيخ عبدالله اليازجي الطبيب على مبادئ الشيخ الرئيس ابن سينا مؤلف القانون وغيره . فبرئت وتمكنت الصداقة بين الاسرتين اليازجية والشامية . قال الشيخ ناصيف الى صابات لحسن آدابها واخلاقها واذ كانت فطلبها من والدها موسى زوجة له . فاستمهله موسى يومين ليحييه لانها كانت صغيرة السن ولها شقيقات اكبر منها لم يتزوجن . وسار الى الامير بشير واخبره بذلك وطلب رأيه . وكان الامير بشير يحب الشيخ ناصيف ويعرف مقامه الادبي، واخلاقه السامية . فقال لموسى (نخب بيتك لا تقلب ولا صرارة^(١)) فعاد موسى

(١) الصرارة برف عامتنا الحجر الصغير وهذا المثل يعني ان انماشي على الطريق طالباً السرعة لا يقلب الحجر الذي امامه .

في الموعد المضروب واخبر اليازجي بقبوله بترويجه ابنته . فصار الشيخ يتردد على بيت الشامي كخطيب لابنته ثم اتخذها زوجة نحو سنة ١٨٣٢ على اثر فتح ابراهيم باشا المصري لسوريا ولبنان . فجهزها الامير بشير مثل اخواتها وسر بان تكون زوجة لليازجي . فرزقا ستة ذكور وست اناث ترعرعوا على حب المعارف ودمائة الاخلاق ناشئين في بيت علم وادب .

وامتازت صابات والدة الاسرة الكبيرة بتربيتها على الفضيلة مدبرة بيتها بحكمة فائقة ومهذبة اولادها بمراقبة وحسن قدوة فساعدت بذلك زوجها اليازجي العلامة بانها رفعت عنه بمساعدتها اعباء العناية باولادها وهم اسرة كبيرة . فانصرف اليازجي الى اعماله العلمية وخدمته في ديوان الامير وتجرد عن الانهالك بشؤون البيت وتديير الاسرة متمكلاً على زوجته الحكيمة شريكة حياته على حد قول مثلنا العامي (الرجال جنّاً والمرأة بتاً^(١)) وكثيراً ما تساعد النساء ازواجهن بمثل هذه العناية فيتفرغون لاعمالهم الكبيرة كما عرفنا ذلك عن كثير من المشاهير . وما اصدق قول نابليون بونابرت : « اني مدين لامي بكل ما اكتسبته من الفخار وما احرزته من العظمة لان فحاجي كان ثمرة من مبادئها القوية وآدابها السامية . »

وكانت صابات عاقلة نشيطة قوية الذاكرة لطيفة الحديث فصيحة اللفظ مدبرة لبيتها رصينة في اخلاقها حتى ان زوجها ما كان يعرف شيئاً من امور المنفعة وحاجة الاسرة بل قامت هي مقامه في كل ذلك حتى كان يقول : « لو اوصيت الاله ليخلق لي زوجة كما اريد ان تكون لما خلق احسن من زوجتي صابات . »
فعاش الزوجان عيشة راضية وتمتع اولادهما ذكوراً واناثاً بتلك الراحة البيتية ونبع كثير منهم بالعلم والشعر والصناعة والتجارة .

وكانت صابات ربة القائمة سمراء اللون مستديرة الوجه كبيرة العينين لطيفة الملامح . توفيت سنة ١٨٨١ عن ٦٨ سنة ودفنت في مدفن اليازجيين في محلة الزيتونة^(٢) .

(١) اي ان الرجل يبني الدرهم للبيت والمرأة تبنيه .

(٢) نشرت ترجمتها مطولاً في كتابي (نوابغ النساء) الكبير الحجم المخطوط ولخصت منه كلمة فيها مع رسمها في مجلة (قب الياس) المجلد الثاني الصفحة ١٨ .

لمحة في فيه اولاد الشيخ ناصيف

قلنا ان اولاد الشيخ ناصيف وصابات زوجته كانوا ستة ذكور وست اناث
فترجمنا العلماء والشعراء منهم والآن نذكر بقيتهم بحسب وفياتهم فنذكر :

١ . الشيخ فارس

ولد في بيروت مع اخيه عبدالله وهما توأمان في تضاعيف سنة ١٨٤٥ ونشأ في
بيت العلم . فألم بالعربية وكان نحيف البنية يلقب بالفاعور لجهاره صوته وكبر جنته
ثم سافر الى الارجنطين متجراً وعاد نحيلاً مات في بيروت عن نحو ٢٢ سنة وذلك سنة
١٨٦٦ فدفن في مدفن أسرته بالزيتونة ونقش على ضريحه هذه الابيات الباقية الى
يومنا :

غادرت آل اليازجي بحسرة طالت ودمع كالسحاب تدققا
سموك «فارس» فاستبقت وهكذا شان الفوارس ان تجد وتسبقا
ورحلت في الثنتين والعشرين من دار الشقا فتزات في دار البقا
ولذاك قد هتف المؤرخ باكرأ ناح الحمام عليك يا غصن النقا
ورثته شقيقته وردة في ديوانها « حديقة الورد » المطبوع ثالثة في الصفحة ٥٣ بقصيدة
قالت منها :

يا ويح خنساء عيني وهي باكية صخرأ بدمع لديه الصخر قد لانا
يا مهجة القلب هل عود نؤمله وهل كتاب سلام منك حيانا
بكت على فقدك الاخوان دمع دم واستبدلت عن لذيد الانس هجرانا
البستي ثوب حزن لست اخلعه حتى ابدل منه فيه اكفانا
وقالت من مرثيتها لشقيقها الشيخ حبيب سنة ١٨٧٠ تشير اليه :
يا «فارس» اليوم ابشر قد اتاك على قربي «حبيب» فلا تشكو من الملل
بدران اظلمت الآفاق بعدهما في مقلتي وضاعت بالاسى سبلي

٢ . الشيخ نصار

ولد في بيروت سنة ١٨٤٣ وألم بأداب اللغة ولكنه مال الى صناعة الصياغة فاتقنها

على يوسف انطون النحاس والد الشاعر الناثر جبران النحاس تلميذ الشيخ ابراهيم زريل الاسكندرية وهو دمشقي الاصل تدير بيروت بعد سنة ١٨٦٠ واتصل بآل اليازجي فلازمه نصار وبرع بالصياغة واشتغل فيها وله تفننات بديعة واعمال رائعة. ومن النكات فيها انه كان عند الجوهرين في بيروت (سمسار) اسمه الياس كان بارد الطبع كثير البلادة مهملأ فطلب الصاغة يوماً من نصار ان يهجوّه فتردد كثيراً لان آل اليازجي يكرهون الهجاء من طباعهم الراقية وآدابهم الرفيعة. فلما ابرموه قال نصار فيه هذين البيتين :

اني لأحلف بالذي خلق الوري قسماً بعيسى والنبي محمدا
لو كان يطرح شعرة من رأسه في نهر دجلة برهة لتجددا

ولم نعرف من شعره غيرهما وله مقطعات بليغة في عباءة نشرها مستشرق نمسوي. فنبغ في النقش والتمويه بالكهربائية المعروف عند الصاغة بالطي. وله في ذلك اعمال تدل على براعته وبواسطتها استمال شقيقه المرحوم الشيخ ابراهيم الى الحفر والنقش فصنع امهات الحروف المشهورة بجملها ووضوحها ونبغ في فن الطباعة بوضعه انواع الحروف البديعة واتقن التصوير والحط الجميل والحرف الاقتصادي .

ومال نصار بعد ذلك الى استثمار الارض بالزراعة فاخذ من المرحوم نخله المدور صديق والده قرية « ثعلبايا » في بقاع العزيز قرب زحلة وانصرف الى فن الزراعة فاتقنه وقطن في تلك القرية مع زوجته عفيفة ساروفيم^(١) واكن المستنقعات الكثيرة المحدقة بتلك القرية ولا سيما في غاب عميق وما يجاوره كانت تبعث مجراثيم الوبالة (الملائيا) القتالة فتشتر الحميات الشديدة الاضرار بين سكان البقاع فاصيب الشيخ نصار مجمي فتاكة ونقل الى مدينة زحلة لمعالجته فكان داؤه عضالاً لم ينجع فيه دواء فاستأثرت به رحمة ربه في زحلة يوم الاحد في ١٨ تشرين الاول سنة ١٨٧٤ فاقم له ماتم عظيم ، وكان

(١) اصل اسرة ساروفيم من كورفو وخدم اسمه سيروفيم بندا اليوناني الجنس الذي فر لاسباب سياسية من بلدته الى فلسطين وسورية. واشتهر منهم اعيان خدموا الحكومة في بيروت وصور ويافا والقدس ولاسيما قسطنطين الذي كان نافذ الكلمة عند ابراهيم باشا المصري في توجيه لبلادنا ومن اولاده وحفدته اعيان خدموا الحكومة الى يومنا .

الحنن عليه شديداً فدفن في جوار سيدة النجاة في زحلة وآبته بعض الآباء والادباء .
فقال شقيقه الشيخ ابراهيم اليازجي مؤرخاً ضريحه في الصفحة ١٢٨ من ديوانه «العقد» :

هذا ابن قطب علوم الشرق عاجله سهم المنايا فأدمى بعده المهجا
أطال حسرة آل اليازجي فبكوا لفقد «نصار» دمعاً بالدماء مزجا
غصن لوته يد الاقدار فابتدرت تبكي عليه حمامات اللوى هزجا
قد حل منتزحاً في ظل «سيدة» من أمها خائفاً هول القضاء «نجا»
فخط من فوق مشواه مؤرخه اني غريب الى ماوى البتول لجا

وتوفي عقيماً وزوجته عفيفة اقترن بها الشيخ ملحم ابن الشيخ راجي شقيق الشيخ
ناصر كما سيأتي وتوفيت في بيروت سنة ١٩٣٣ .

وقالت شقيقته وردة تربيته بقصيدة طويلة في ديوانها «حديقة الورد» الطبعة الثالثة
والصفحة ٣٩ عدت فيها مصائب يديهم مطلعها :

ويلاه ويلاه كم نشكو ونتحب وكم علينا صروف الدهر تنقلب
وكم تجور الليالى في حوادثها على فؤاد بنار الحزن يلتهب
قد اشعل البين في قلبي الحزين لظى يزيد دمع عيني وهو ينسكب
روحي فدى من به أيدي القضا نشبت سهامها بل بقلبي السهم منتشب
ويجي على غصن بان مال منكسراً كأنه الرمح غالت قدّه النوب
ويجي على بدر تم بات منخسفاً تحت الثرى ومحت انواره الترب
ويجي على من تولى بعد مصرعه صدر الحشى وتوالى الحزن والوصب
يا ويح قلبي كم سهم اصيب به فلم يزل بدماه الجفن يمتضب
مصائب لست ادري من تكاثرها فيه على ايها ابركي وانتحب

الى أن قالت مشيرة الى مدفنه في زحلة وقد فاقت الحنساء في مراتبها :

يا ارض زحلة لي في حبهها شغف اذ في حماها شقيق الروح محتجب
أرض لروحي في اكنافها سكن لذاك قلبي له في حبهها أرب
يا راحسلاً راح صفو العيش يتبعه واستوطنت بعده الاحزان والكرب
ان كنت عن مقلتي قد غبت محتجباً فان شخصك فيها اليوم منتصب

وان تكن بت طي الترب وأسفي ففي الترائب رسم منك يجتجب
ياقلب صبراً على ما قد اصبته به ولا ترعك البلايا وهي تعقب
قد عودتك الليالي الحزن من صغر حتى غدوت الى الاحزان تنتسب
واتقن نصار القراءة العربية الفصحى حتى كان والده يستقره دون اخوته .

وكان اسمر اللون اسود الشعر والعينين النجلاوين مهيب الطلعة ربعة القوام عريض
المنكبين معتدل الجسم في السمن جيد القرحة دم الاخلاق . احسن الله جزاءه .

٣ . السبع عبدالله

ولد في بيروت سنة ١٨٤٥ وكان هو وشقيقه فارس الأنف ذكره توأمين وكان
له المام كاف بقواعد اللغة العربية ومعرفة بالنظم والادب . ولكنه مال الى التجارة في
بيروت فكان حسن المعاملة . ومخزنه في سوق الطويلة . ولما طبع شقيقه الشيخ ابراهيم
« مجمع البحرين » لوالده بالمطبعة اليسوعية في بيروت في ك ٢ سنة ١٨٧٣ اعلن في
مجلة « النجاح » عن بيع الكتاب في مخزن اخيه عبدالله .

ثم سافر عبدالله الى البلاد الاميركية وصرف فيها مدة متجراً فنال من تجارته
حظاً وافراً . ولكنه مرض فعاد الى بيروت . وتوفي فيها نحو سنة ١٨٩٥ عن خمسين
سنة . فرثته شقيقته وردة بهذه القصيدة تعدد فيها نوابها التي توات على بيتهم العالمي
بقولها في ديوانها « حديقة الورد » الطبعة الثالثة والصفحة ٦٠ وهي كلها :

أعياني جودي بالدموع السواكب	وفيزي دما . بعد فقد الحباب
لعلك تطفي بعض ماخامر الحشى	من النار او تشفي جراح النوادب
طوى الدهر ما بيني وبين احبتي	وجتمع ما بيني وبين المصائب
تتابعت الارزاء من كل جانب	علي كما ينهل غيث السحاب
« ولو كان هم واحد لا حملته » ^(١)	ولكن هموم اعجزت كل حاسب
شقيقي « عبدالله » أنى تركتني	بقلب جريح من فراقك ذائب
أيا غصن بان قد بغى البين كسره	ويا قرأ اخفته سحب السنائب

(١) هذا تضمين من قول الشاعر في صدر بيته المشهور :

ولو كان هم واحد لا حملته ولكنه هم وثمان وثالث

ويا كوكبا قد غاب عني في الثرى
لئن غبت عن عيني فشححك لم يزل
وقد كنت أرجوان ارى لك عودة
فيا دمع عيني لا تحف من البكا
سلام على ذاك الضريح ورحمة
سابك دهرى ما حيت وان امت
وما هكذا عهدي غياب الكواكب
امامي في طي الحثي والترائب
فخطب رجائي فيك من كل جانب
ويا حجر قلبي لا برحت مصاحبي
تفيض عليه كالغيوث السواكب
ستبكي عظامي تحت طي الترائب

فهكذا كانت نواب هذا البيت الشهيد بفقد الذكور الستة أجزاباً الأ الشيخ نصاراً
الذي توفي متزوجاً عقيماً والشيخ خليلاً الذي ترك ذكراً واحداً هو الشيخ حبيب بقمية
هذا البيت الذي نذكر لمعة مختصرة عنه تتمه للبحث .

٤ . الشيخ حبيب ابن الشيخ هابل

هو حفيد الشيخ ناصيف من والديه الشيخ خليل وفدوى ابنة جبرائيل الكاتب^(١) .
رزقا اول ذكر باسم حبيب سنة ١٨٨٤ فأرخ والده ولادته في ديوانه «نمات الاوراق»
طبع مصر سنة ١٩٠٨ الصفحة ١٤٧ من ديوانه . وأرخه عمه الشيخ ابرهيم في ديوانه
«العقد» الصفحة ١٤٧ .

ثم رزق الشيخ خليل ذكراً آخر سنة ١٨٨٧ سماه حبيباً فأرخ ولادته في ديوانه
«النمات» الصفحة ١٥١ بقوله :

عاد الحبيب الينا بعد غيبته كالبدر اشرق فينا بعد مغربه
فقلت لما تبدى المؤرخ ذا هو الحبيب المفدى من سررت به
وأرخه عمه الشيخ ابرهيم في ديوانه «العقد» الصفحة ١٥٣ بقوله :
هذا غلام للخليل اتى وقد حيته غرته بوجه حليمه

(١) يقال ان بني الكاتب هؤلاء من انساب اليازجيين في دمشق اشتهر منهم جبران هذا
وابن شقيقه الاب الكسيوس الراهب السوري المشهور بأدابه ومؤلفاته . وأرخ الشيخ خليل
في ديوانه «نمات الاوراق» الصفحة ٤٦ ميلاد خليل ابن جبرائيل حميه ونظم تاريخاً لضريح
اسرة الكاتب . وأرخ ضريح سليم الكاتب نسيبه في تلك الصفحة ورثاه بقصيدة في الصفحة ٥٨
وهو ابن جبرائيل وكلها عاطفة ورقة على طولها .

رد الاله بوفده فرطاً مضى
فانعم به أرخت وابشر انه
واعاد من صفو الهناء وطيبه
عاد الحبيب اليك بعد مغيبه

وتوفي والده الشيخ خليل بعد سنتين من ولادته فاحتضنته والدته فدوى بعد زواجها بالخواجه بشاره يارد البيروتي^(١) مدة ثماني سنوات . فاحتضنه عمه الشيخ ابراهيم بعد ان بلغ العاشرة من عمره مستقداً اياه الى القاهرة سنة ١٨٩٧ . فدرس بمدرسة الآباء اليسوعيين التي كان عمه مدرساً فيها . وبسن الرابعة عشرة ارسله الى بيروت فتعلم في المدرسة البطريركية اربع سنوات ونال الخداقة « البكلوريا » سنة ١٩٠٥ وعاد الى مصر يزارل الكتابة في مجلة عمه « الضياء » وهو يدرجه على الانشاء فكتب مقالات فيها . ثم درس فن المحاماة في مدرسة الحقوق الفرنسية بمصر واكمل دروسه الحقوقية في باريس ونال شهادتها وعاد الى الاسكندرية وانشأ فيها مكتباً للمحاماة امام المحاكم المختلطة لان المرافعات كانت باللغة الفرنسية وقضاة المحاكم اجانب . فنال منزلة لديهم لانه دكتور في الحقوق والفلسفة والآداب من كلية باريس الجامعة .

وسنة ١٩١٤ طاف اوربة الى جنيف ونشبت الحرب الماضية وكان قد درس في مدرسة القديسة حنة في القدس الشريف بشاره خال والدته الطيب الذكر المطران يوسف الدوماني اسقف طرابلس الكاثوليكي واستودعه معظم كتب اليازجيين بعد وفاة عمه الشيخ ابراهيم فنزعت نفسه الى الكهنوت فسيم كاهناً في ٢٩ حزيران سنة ١٩٢٢ باسم الخوري حنا ثم غلب عليه اسم الخوري حبيب واشتهر به وذلك في باريس . وفي سنة ١٩٢٥ ترك الكهنوت وجاء مدينة زحلة بشوبه العامي وقابلته فطلب مني رسالة الى اولادي في سان باولو (البرازيل) لمساعدته بعمل هناك . وسافر اليها وتزوج بالسيدة نسيمة ابنة رشيد المشعلاني^(٢) من عبيه نزيل البرازيل في اول ايلول سنة

(١) بنو يارد اسرة قديمة في بيروت اشتهر منها يوسف وطوس وحنا بنفوذ كلمتهم عند احمد باشا الجزائر والي عكا كما ذكر ذلك القسان ارسانوس كرامة وحنانيا المنير الشويريان في تواريخها المخطوطة في خزائني واشتهر بدم كثير من هذه الاسرة مثل بطرس وشاهين وولدا بطرس وهما يوسف واندراس بالثروة والوجاهة ومنهم باسيل الذي خدم الحكومة في بيروت . وبشاره هذا من وجهاتها ومنهم ادباء واعيان .

(٢) ينسب بنو المشعلاني الى قرية بشعله في البترون ويقال البشعلاني . اشتهر منهم ابو رزق

١٩٢٦ فوزق ذكرين الاول باسم ناصيف جده في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٧ والثاني باسم خليل والده في اواسط آب سنة ١٩٣٠ في مدينة سان باولو .

واشتغل بالادب وسافر الى الارجننتين وافريقية واميركة الشمالية واوربة العربية وكان يلقي محاضرات لمخمس لغات اتقنها وهي العربية والفرنسية والانكليزية والاسبانية والبرتغالية . وكتب في بعض الصحف الاجنبية مقالات ادبية واقتصادية لخدمة الجالية ثم في الصحف العربية حبر مقالات تاريخية عن اسرته ، وادبية ولا سيما في مجلة «الاصلاح» للدكتور جورج صوايا في بونس ايرس وغيرها . وطبع ديوان عمه الشيخ ابراهيم «العقد» بالبرازيل وعظمه بخطه الفارسي الجميل . وألف رواية تمثيلية ذات ثلاثة فصول معربة عن الكاتب الفرنسي الشهير «اندره جيد» وطبعها بعنوان «الملك اوديب» في بونس ايرس سنة ١٩٣٢ في ٣٨ صفحة بقطع كبير ومقدمتها بقلم الدكتور صوايا صاحب «الاصلاح» .

وفي صيف سنة ١٩٣٦ عاد الى لبنان بطريق الولايات المتحدة الاميركية فقابلته في بيروت وزحلة ورأيت مؤلفات جده وعمه ووالده المخطوطة التي اودعها عند جدته لامة مدام الكاتب في بيروت ونقلت عنها اشياء . لتاريخ اسرته اليازجية الذي وضته لها بعنوان «الغرر التاريخية في الاسرة اليازجية» . وهو قصير القامة بدين الجسم متوسطه جيد الذاكرة حسن الحديث . ثم عاد الى اوربة في اواخر سنة ١٩٣٦ او منها الى البرازيل .

فهو بقية الاسرة اليازجية من الذكور وولدها الذكران يجردانها بعد ان كادت تنقرض اي اسرة الشيخ عبد الله والشيخ ناصيف في كفرشيا وبيروت . اما بقية فروعهما الاخرى فلا تزال متسلسلة في الوطن والمهجر وقد نبغ منها كثيرون بالعلوم والفنون مما فصلته في كتابي «الاجبار المدونة والمروية في انساب الاسر الشرقية» في ١٤ مجلداً مخطوطاً .

في القرن السابع عشر بتقريبه من حكام طرابلس الشام . ومن سلالة يونس الذي جاء متن لبنان وسكن صليبا . ومنهم نجم اندريا من خاصة الامير حيدر اسماعيل اللعمي والخورى حنا باني كنيسة سيدة انتجاة فيها وغيرهم من كهنة وعلماء وادباء . ومنهم حنا الذي تقرب من الامير حيدر الشهابي المؤرخ في شملان ولهم بقية هناك وفي عيبه ومصر والمهجر . ومنهم فروع باساء مختلفة مثل ابي راشد وحرفوش ونكد وقشعي وضومط ومراد وحجيج .

لا ايمان لي

ليكون لك ايمان يازمك ثلاثة شروط :

اولاً . ان ترغب فيه .

ثانياً . ان تطلبه الى الله

ثالثاً . ان تبحث عنه

١

يازمك ان ترغب في الايمان . - ولكن هل يمكن ان نرغب في امر لا نعرفه ؟
اذا كنا نجعل الحقيقة الدينية، هل يمكن ان نرغب فيها؟ - اجل يمكن . لاني افترض
انه لا احد يجهل كل الجهل الحقيقة الدينية . كل انسان عرفها سابقاً ، ويعرف الآن
شيئاً منها . قال بوسويت (Bossuet) : « عندما نحب ما كنا ابتدأنا بعرفة شي .
منه ، يجعلنا الحب نعرفه بطريقة اكل » . وقال باسكال (Pascal) : « ان الله
اراد ان الحقيقة الدينية تتخطى من القلب الى العقل ، لا من العقل الى القلب » .
وقال احد المهتمين الى الدين : « بالقلب نبتعد عن الدين ، وبالقلب نعود اليه » . حقيقة
راهنة . أحب الحقيقة تعرفها حالاً . وعندما تحبها ترغب فيها . فاذا لم يكن لك
ايمان ، ارغب فيه .

ولكن هل الايمان يستحق ان ترغب فيه؟ - بكل تأكيد . فبالايمان تناط سعادتك
الابدية ، وكرامتك الشخصية ، والسلام العام .

١ . بالايمان تناط سعادتك الابدية . - ان الله موجود . ولك نفس . وسيأتي يوم
تنتقل فيه من هذه الدار الفانية الى الدار الباقية . فاذا حل ذلك اليوم ، فهل تهبط
بجملتك في حفرة القبر ؟ وهل تتجاسر على القول بانك على يقين من انك صائر الى
العدم ؟ اؤكد انه ليس بوسعك ان تجزم بصحة ما تقول . وهل تجترى . على انكار
خاودك في العالم الاتي اما في نعيم واما في شقاء . ان عزائمك لتفشل اذا حاولت ان
تجهد خلود نفسك . ولكن اذا كنت قد نسيت الله واهملت نفسك ، واذا أنكرت

حقوق الدين في حياتك ورغبت عنه كأنما عن امر حقيّر الشان انفةً واستنكافاً ، اذا لم تحفل به لا بافكارك ولا بعواطفك ، ولم تعبا به ولا في دقيقة من حياتك
فحينئذ يا للهول ! ويا لها من ساعة رهيبة ويقظة مخوفة ! ويا لحبيبة الآمال !
بالايمان تناط اذن سعادتك الابدية .

٢ . وبالايمان تناط كرامتك الشخصية . - قال بوضوح : « ان الطبيعة البشرية تعرف الله ، ويهذه الكلمة وحدها تنحط عنها الحيوانات الى ما لا نهاية له . بدون الايمان لسنا بمتبعين ، بل لسنا بشراً » فهل نعدّ سعداء اذا كنا نسير في سبيل هذه الحياة واعيننا مطرقة الى الارض كالبهايم جاحدين ان لنا رباً في العلاء يعطف علينا بجنوه ورحمته ويوعانا بعينه اللطيفة ؟ كلا لسنا بسعداء اذا كفرنا بالله العليّ القدير . اذا لم يكن لنا ايمان لا نستطيع ان نحاص نفوسنا . لاننا اذا جهلنا الطريق لا نقدر على ان نبلغ الغاية . واذا لم يكن لنا ايمان تتضال كرامتنا الشخصية .

٣ . بالايمان يحفظ السلام العام وتكون انت في امن . - يقول بعضهم : « وماذا يفيدني كل هذا الاهتمام بالدين وبتعاليمه ؟ عندنا امور كثيرة غير الدين واكثر لزوماً » عفواً يا صاح . فالدين اشدّ لزوماً من كل ما سواه . لان كل الامور تعتمد عليه : قوة التمييز في الضمير ، شرف الاسرة ، احترام الملك والحكام ، نظام الهيئة الاجتماعية واخيراً سلام العالم . فاذا لم تتنبّه للحقيقة الدينية ادركك الانحطاط ودهمك المرت على غفلة . فويل للذين يقولون : « هذا لا يهمني . فانا لست مناقضاً للدين ولا مخالفاً له » . ولكن الاتدري ان الإعراض عن الدين جريمة فاحشة ؟ وان من اعتزل عن الدين فقد خانته ؟ - بالايمان تناط سعادتك الابدية ، وكرامتك الشخصية ، والسلام العام . فالايمان يستحق كل الاستحقاق ان نرغب فيه . فاذا لم يكن لك ايمان فارغب فيه .

٢

يلزمك ان تطلب الايمان الى الله . - قال احد العلماء الاتقياء : « ليست الصلاة احدى وسائل الايمان ، بل هي واسطة الوسائط » . وفرانسوا كوبه المهتمدي الى الايمان يقول : « يجب عليك يا اخي الحبيب ان تطلب الى الله النعمة والايمان ، يجب

ان تصلي لكبي تؤمن . ولعلك تقول انك لا تستطيع ان ترفع يديك وتجتو امام الله . ولكن هذه سخافة الحياء البشري ! انك لتفتكر بيسوع دائماً على غير قصد منك ، وقد احببته فيما مضى ، وانت تحبه الآن ايضاً . ادخل معي الى الكنيسة وانظر الى المصلوب . انظر الى هاتين الكفين الداميتين المثقوبتين بالمسامير . انما ترتفع يدك اليه بجرعة تقوى طبيعية ؟ »

اجل يجب ان نصلي . هذا اول شرط لنيل النعم الالهية ، وبالتالي للحصول على الايمان اثن النعم واولها في الحياة المسيحية . تقول انه لا ايمان لك . فهل طلبت الى الله نعمة الايمان هذه ؟ لربما طلبت هذه النعمة ، ولكن بدون ان توجه اليها كل عزيمتك وانتباهك وبدون ان تثبت على الطلب . فهل كان لك ، حين طلبت نعمة الايمان، رغبة قلبية صادقة حارة في ان تؤمن وتكون مسيحياً وتعيش كما يقتضي منك الدين المسيحي ؟ ان من الناس قوماً يبحثون عن شغل مع الرغبة الخفية في ان لا يجدوا ذلك الشغل . وان من الناس قوماً يطلبون الى الله بعض الفضائل مع الخشية الخفية من ان تستجاب طلبتهم وينالوا تلك الفضائل .

فاذا نقصك الايمان فمن البديهي انه يجب ان تطلبه . ان الصلاة ملازمة كل الملازمة لخالطنا الطبيعية والمعاشية حتى اننا ، بشدوذي ما بعده شذوذ ، نبخل بالصلاة على الله الكائن الاعلى ، ونجود بها بسخاء عندما نتعاطى مع الناس . ان الله لم يرد ان نكفي انفسنا بانفسنا ، بل اعطانا ما به نكفي بعضنا مؤونة بعض حتى نحتاج دائماً الى الطلب من غيرنا والى ان يطلب غيرنا منا . ان الهيئة الاجتماعية كلها مؤسسة على الطلب والصلاة . فهل يجوز ان نطلب من الناس ولا نطلب من الله ؟

وقائل ان يقول : ولكن الصلاة تفترض الايمان . فعلى هذا اجيب بان الصلاة تفترض الايمان ولا تفترض الايمان الكامل الراسخ . وتفترض الايمان في اوله . ومن لا يجوي هذا الايمان ؟ من الذي ليس عنده ايمان ليطلب الايمان ؟ وطلبك الايمان يفترض انه لا ايمان لك . لانك غير ملتزم لطلب الايمان ان تعرف الله ولا ان تؤمن انه موجود . يكفي ان تؤمن انه يمكن ان يوجد اله . يكفي ان تظن وترتاب وان تتعذب من ارتيابك .

ان بعض الناس يتشككون من انهم لا ايمان لهم ولا يقولون لله كذلك الاعمى :
 « يا رب اريد ان ابصر » . ولا كارلسل : « ايها السيد زدنا ايماناً » . ولا مثل ذلك
 القائل : « اني اؤمن يا رب فاعن قلة ايماني »
 ان الحقيقة كالندى السماوي تسقط من السماء ، لكنها لاتمس الرؤوس المتعجرفة
 التي ليس لها رغبة في قبولها ، ولا تواضع لطلبها .

٣

يلزمك ان تبحث عن الايمان . - وحينما تبحث عنه تجده . انما اولاً يجب ان تبحث
 عنه . لملك طالعت في الانجيل الطاهر مثلي الخروف الضال والدرهم الضائع . انهما
 لجيلان جداً . قال السيد المسيح لاسمه السجود : « اي رجل منكم اذا كان له
 مئة خروف فاضاع واحداً منها ، لا يترك التسعة والتسعين في البرية ويمضي في طلب
 الضال حتى يجده ؟ فاذا وجده يحمله على منكبيه فرحاً ، ويأتي الى البيت ويدعو
 الاصدقاء والجيران ويقول افرحوا معي فاني وجدت خروفي الضال » . وقال ايضاً
 تبارك وتعالى : « اية امرأة اذا كان لها عشرة دراهم فاضاعت منها درهماً واحداً ،
 لا توقد سراجاً وتطلبه باهتمام حتى تجده ؟ فاذا وجدته تدعو الصديقات والجارات
 وتقول افرحن معي فاني وجدت درهماً الذي اضاعته » .

هذه حكاية كثير من الناس . عندهم الغنى والملذات والجاه والصحة والعلم ، عندهم
 التسعة والتسعون خروفاً يتعهدونها بنظرهم ليل نهار ، لا يفتعلونها طرفة عين ، وعندهم الدراهم
 التسعة احكموا الاقفال عليها في صناديق المال . اما الخروف المئة والدرهم العاشر ، فأين
 هما ؟ ماذا صار بالحقيقة الدينية ؟ اضاعوها منذ زمن مديد . فيجب ان يبحثوا عنها .
 واهل الدين المسيحي ، نظراً اليك ، امر غابت عنك معرفته . فتريد ان تعرف
 هل هذا الدين بشري ام فائق على مدارك البشر ؟ وهل يسوع المسيح اضع ذلك
 الدين دجال خداع ، ام فيلسوف عظيم ، ام هو اله ؟ وهل انتحال الناس لديانة
 يسوع المسيح صدفة ، مع انها ديانة صعبة جداً ، معاكسة لكل الاهواء والافكار
 المسلم بها ؟ وهل قيام كنيسة يسوع المسيح منذ عشرين قرناً صدفة ، مع انها ثابتة
 بينما كل الممالك والدول تتغير وتفتنى وتلاشى ؟ فاذا تقول في ذلك ؟ انك لتتردد

ولا تدري ما تقول .

فألان أسألك فاجبني ، ماذا عملت منذ عشر سنوات او منذ عشرين او منذ ثلاثين او في حياتك كلها لكي تخرج من ظلمات الشك والايهام الى انوار الحق الوضوءة؟ فالمسألة ذات اهمية كبرى ، يتعلق بها امر خلاصك الابدي . اذا كانت الديانة التي ترتاب فيها صحيحة كما اعتقدت كل الاجيال وكما آمن ايماناً ثابتاً بملايين من البشر منهم العلماء والفقهاء والعظماء الذين اوغلوا في البحث وامعنوا في التنقيب لاستجلاء الغوامض واستقراء دقائق الدين وحقائقه واسراره . فاذا لم تؤمن بهذا الدين تكون حياتك الاخرى في خطر ، واذا لم تكشف عنك قناع الشك والارتياب عرضت نفسك لهلاك ابدي محتم .

واسألك ايضاً ، كم يوماً انفقت على طلب علم الدين والتوجه الى تحصيله ، مع انك وقفت جهدك على اشغالك الزمنية واستنزفت قواك العقلية والجسدية في ارتياد المذات القبيحة ؟ اخبرني اي كتاب تعليم مسيحي يوضح الحقائق الدينية بتفصيل طالعته انت الذي قصر نفسه على قراءة الكتب اللادينية والسخيفة ؟ اي امام في علم الدين استشرت ، انت الذي اصغى ، باهتمام لا يتعاضده اهتمام ، الى اساتذة لم تقتبس عنهم سوى العلوم المدنية ، وبعضهم لم يججموا عن تويه الباطل عليك والعدول بك عن محجة الصواب والرشد ؟ فيما له من غرور ويا لها من جهالة ! . . . فيجب ان تفيق من سكرتك وتكف عن غوايتك . واذا ابتليت بفقدان الايمان فيقتضي ان تبحث عنه .

وحيثما تبحث عنه تجده . واكن اين تجده؟ - في ذاتك فكر في نفسك واسترشد

بانوارك الطبيعية فتستنتج انه لا بد من الايمان المسيحي الكاثوليكي والبيانات على ذلك كثيرة : منها ايمان آباءك في هذا الاعتقاد الذي ادعوك اليه ، وهم اجل الناس مقاماً واکرمهم معدناً واصلاً وأحدتهم فهماً وعقلاً واعفهم نفساً . اني لأرثي لاولئك الابناء النغول الذين ينكرون مجد آباءهم في الدين وعظمتهم ، والذين يتوهمون بغطرسه خرقاء ان العالم ابتداءً فيهم وسينتهي بهم . فليعلم امثال اولئك المتكبرين ان آباءنا في الدين عاشوا وماتوا لاجل ايمانهم . وبينهم القديسون ابطال

البشرية قاطبة ، ومنهم الملافنة والفلاسفة والعلماء ورجال عظام جداً في الدين والدنيا . لقد انتضى نحو الفي عام وديننا مغروس في ارض الجلجلة وقد سقاه السيد المسيح بدمه فانتشر الى اقاصي المسكونة كزيم الاصل ، اثيل المنبت من دوحه طيبة وشجرة صالحة هي شجرة الصليب المقدس الحامل الحياة .

انه ليكيفيك هذا البرهان القيم على صدق ايمانك وهو يستند الى القاعدة المعروفة عند اللاهوتيين والفقهاء : حق المستولي اولى . - على ان لدينا براهين اعظم قيمة مما ذكرنا واكثر تأكيداً وافر عدداً- لدينا دين قديم يرجع تاسيسه بأدلة ناصعة الى بدء الخليقة ، - لدينا سلسلة اعمال فائقة الطبيعة لم تنقطع حلقاتها وقد تركت الحين بعد الحين اثرأ لا يمحي في تاريخ الشعوب،- لدينا عقائد حقيقية واضحة لا حكمة فوقها، وان تكن صعبة الفهم احياناً ، لان مصدرها الله الذي لا يدرك فهمه ، وحكمته لا حكمة فوقها ، - لدينا علم آداب قد هذب واصلح قلوب واخلاق الجلس البشري، - لدينا كهنوت موقر جدير لان يتكلم عن الله عز وجل للاشرار والفضلاء ، - ونؤمن بعناية الهية تدبر مجموع العقائد والآداب السامي وتحفظه باعجوبة متصلة ، - اخيراً لدينا نظام فيه كل شيء متناسق ومتعاقد ليدوم مدة ستين قرناً مع جسامه الموانع وضعف الوسائط . . . هذه اسس ايماننا ، كلها ثابتة ولا شيء منها متزعزع . واذا استنطقت عقلك السليم انبأك ان الدين المسيحي مؤيد بسلطة اعظم العقول ومثبت بالادلة والبراهين السواطع . فاذا ابتليت بفقدان الايمان يقتضي ان تبحث عنه . وحينما تبحث عنه تجده في ذاتك .

وتجده في الكتب . هلاً قرأت احياناً كتاباً ذا قيمة ؟ هلاً قرأت التعليم المسيحي او الانجيل الطاهر او كتاب التاريخ المقدس فتنبجلي عنك ظلمات الشكوك وتبصر رشدك وتثبت دعائم ايمانك ؟ يقرأ كثيرون كل كتاب يعرض عليهم ايأ كان مؤلفه ومهما كان موضوعه ، سواء كان فاسداً او جيداً ، ما عدا الكتب التي يشرق من خلال سطورها نور الحقيقة اللامع ويتضوع من جوانب صفحاتها شذا الآداب المسيحية الفواح . فحينما تبحث عن الحقيقة تجدها .

درس في رسائل القديس اغناطيوس (تابع)

مجل الرسالة الثانية الى المغنسيين

المقدمة : شكر على الرسل الموفدين اليه ، وثناء على هؤلاء الرسل وعلى كنيسة المغنسيين ، وبخاصة اسقفها داماس .

اغراض الرسالة : يدعو القديس المغنسيين الى احترام اسقفهم واطاعة له ، على انه نائب السيد المسيح عينه ، ولو انه حدث السن . ويدعوهم كذلك الى المحافظة على الوحدة والوثام مع ارباب الكهنوت ، ويجرضهم على الهرب من (المتبهورين) ، وعلى ان يعيشوا على مثال الانبياء كما عاش السيد المسيح .

الغاظة : يوصيهم بالصلاة لاجله ولاجل كنيسة انطاكية ، ويبلغهم تحيات مسيحي افسس وسائر الكنائس .

مجل الرسالة الثالثة : الى الترابين

المقدمة : يفتتح القديس رسالته بالثناء على كنيسة الترابين لخضوعها لاسقفها پوليبوس ، وعلى الوفد المرسل اليه في صجبة هذا الاسقف .

اغراض الرسالة : يدعوهم الى احترام وطاعة ارباب الكهنوت : الاسقف والكهنة والشمامسة . ويشير الى انه يتحاشى شرح الحقائق السامية لهم ، خوفاً عليهم من خطر الهلاك . ثم يوصيهم بالهرب من هرطقة الشبهيين الذين يسهل عليهم تجنب اذابلهم ، بانضمامهم الى اسقفهم .

الغاظة : يبعث اليهم فيها بتحيات كنيسة ازمير وافسس ، ويرجو صلاتهم لاجله وللاجل كنيسة سوريا اي انطاكية .

مجل الرسالة الرابعة : الى الرومانيين

المقدمة : يستهل القديس رسالته هذه ، وهي اجمل رسائله ، بتحية الرومانيين تحية مسهبة ، كلها شوق وحنين ووداد .

اغراض الرسالة : يكشف لهم عن سروره العظيم في ان يشاهد كنيسةهم المحبوبة ، وفي ان يحظى بسفك دمه في مدينتهم رومة ، حباً للمسيح معشوقه . ولذلك فهو يجتهد ان يقوموا لدى السلطات بتدابير ووساطات تحول بينه وبين الاستشهاد ، امنية نفسه العذبة . فيناشدهم الله ان لا يصدوه عن عزمه هذا ، بل ان يستعطفوا الله ليسهل له تحقيقه ، بان يتملقوا الوحوش الضواري لكي لا تبقي عليه ، بل تفتسه افتراساً ، وتطحنه بانيابها ، وتجمل منه دقيقتاً نقيماً ولذيذاً ، يقدم لله قرباناً طاهراً . فالاستشهاد يجعل اغناطيوس « كلمة الله » $\Lambda\omicron\gamma\omicron\varsigma$ ناطقاً بمجده في سفك دمه ، « ذبيحة الله » ، « مسيحياً حقاً » ، « خبز المسيح » ، « حراً معتقاً من الرق والعبودية » . وما اغناطيوس الا راغباً في هذا كل الرغبة ، متشوقاً اليه كل التشوق . وان الرومانيين في محاولتهم تلك يجرمونهم غار الاستشهاد ، ويرضون الناس دون الله ، ويمسدون عليه خيره الاشهي ، ويعاونون خصمه الشيطان عليه . . . وهكذا فانهم ان فعلوا ذلك يرهنون على انهم لا يجبون حقاً اغناطيوس بل بالاحرى يبعضونه .

الخاتمة : ثم يختم رسالته كعادته في طلب الصلوات لاجله ولاجل كنيسة انطاكية ، ناقلاً اليهم تحياته الخاصة ، وتحيات الكنائس جماعاً .

مجلس الرسالة الخامسة : الى الفيلافينيين

بعد ان يودع اسقفهم ينتقل الى تحريضهم على المحافظة على وحدة الايمان والادارة والافخاريستيا تحت رعاية وقيادة اسقفهم ثم على تجنب (المتبهورين) ، موضعاً لهم سبب تصرفه هذا ، ومدافعاً عنه . ويختم رسالته طالباً اليهم ان يوفدوا ، كسائر الكنائس ، ثمناساً الى انطاكية ليهنتها بعودة السلام اليها . ثم يعود فيذكر بالثناء فيلن الذي من كيليكية ورايش الاغاثوبوذي (ذي الرجل الحسنة) وينتهي بابلاغ الكنيسة تحياته وتحيات مسيحيي تروادة .

مجلس الرسالة السادسة : الى الازميريين

كان القديس اغناطيوس قد مر بكنيسة ازمير في سفره الى رومة ، واقام ردهاً من الزمن عند اسقفها القديس بوليكرس . فلما بلغ تروادة كتب الى الازميريين رسالته

هذه كما انشأ في الوقت نفسه رسالة خاصة الى راعيهم الاسقف . فبعد ان يفتتح رسالته ماداً صحة ايمان وكمال محبتهم يشرع في تحريضهم على ان يبتعدوا عن مخالطة « الشبهيين » مكتفين بالصلاة لاجلهم ، عساهم ان يعودوا الى التوبة ، ثم يبسط لهم التعليم الصحيح فيما يخص ناسوت المسيح ، مثبتاً حقيقة هذا الناسوت ، سواء من ظهورات يسوع المسيح المتعددة ، التي كان فيها يأكل ويشرب مع الرسل ، ويدعو هؤلاء . ليلسوه ويتحققوا طبيعته البشرية الكاملة ، او من قيوده عينها التي ترهقه وتثقل كاهله : فانها لا شك باطلة ، وان تجديده نفعاً اذا لم يكن للمسيح طبيعة بشرية حقة . ثم يأخذ بتفنيد مزاعم « الشبهيين » الذين يجنون بلا محبة ويعرضون عن الاشتراك بالاخارستيا المقدسة . لذلك فهلاك محقق ينتظر هؤلاء . وعليه فيجب على الازميريين ان يعنوا شديد العناية بالمحافظة على الوحدة والاتفاق مع اسقفهم وطغمة اكليرسهم ، متممين كل شيء . تحت اشراف الاسقف ، ومقتبلين منه الاسرار ، وبخاصة المعمودية والافخارستيا ، اذا شأوا ان يحافظوا على وحدة ايمانهم وصحة معتقدهم . وينبغي لهم ايضا ان يتمرنوا على ستي الفضائل المسيحية مقرونة بالتوبة . ثم يختم رسالته بشكرهم على حفاوتهم له ولرفيقه فيلن ورايش ، ويحرضهم على ان يرسلوا من يبيء . كنيسة انطاكية برجوع السلام اليها ، وينتهي ببعث تحيته اليهم مجدداً ، مقرونة بتحيات الاخوة الذين في تروادة .

محل الرسالة السابعة : الى القديس بوليكريس

ان هذه الرسالة يجوز لنا ان ندعوها بصواب « دستور الاساقفة » وان نضعها ، من حيث المنحى ، الى جنب رسائل القديس بولس الراعية التي بعث بها الى تلميذه تيموثاوس وتيطس . فيستهل القديس اغناطيوس رسالته هذه بمديح القديس بوليكريس اسقف ازير ، ثم يأخذ في تحريضه على كسب الفضائل الراعية : الغيرة والصبر ، وطول الاناة ، والصلاة ، والفظنة ، والبساطة ، والقناعة والقوة . وعلى الاهتمام بالارامل ، والخدم او العبيد والاماء ، والمزوجين والعذارى . وبعده يدعو المؤمنين الى طاعة اسقفهم ، والمحافظة على وحدتهم معه ، وعلى ممارسة الفضائل . ويختم رسالته فيرجو القديس بوليكريس ان يبعث موفداً من قبله الى كنيسة انطاكية ليهنئها باستتباب السلام فيها ، ويبعث

بتبعيته الى الازميريين المؤمنين ، مخصّصاً البعض منهم بذكر انماهم .

فينتج من هذا المجمل ان القديس يعود دوماً الى امرين مهمين في كل رسائله : وحدة الايمان ووحدة الادارة والسلطة ، في كل كنيسة . ولا احد يجهل ما لذلك من الاهمية لا سيما في عصور الكنيسة الاولى وعهد تأسيسها ، فبهاتين الوحدتين تحفظ وديعة الايمان من فوضى التعاليم ، والادارة من فوضى الاستقلال فالشقااق .
فلتر الآن تحليلاً اوفى لما تضمنته هذه الرسائل من التعاليم القيمة ، فنلقي فيها نظرتين : نظرة عمومية ثم نظرة خصوصية في اللاهوت باقسامه اي النظري او الاعتقادي ثم الادبي ثم الروحي . وفي النظري نرى المبادئ العمومية والاساسية ثم ما يتعلق خاصة بلاهوت السيد المسيح .

(١) النظرة العمومية

يمكن ان تقسم رسائل القديس اغناطيوس الى قسمين : الثلاث الاولى ثم الاربعة الباقية . فالثلاث الاولى يسودها فكران اساسيان : الانضمام الى الاسقف ووحدة الايمان . وسنرى كيف يشرح ذلك ويعود اليه باللاح وكم يعتبر الاسقف ويغار على المؤمنين لصيانة معتقدتهم من الضلال .

وفي الرسالتين الخامسة والسادسة ينصح المؤمنين ان يجذروا ذوي الشقااق والمشاغبين

(١) دونك أم المؤلفات التي طالعتها وكانت مرجعاً في هذا الدرس :

نص الرسائل السبع مع تعليقات وحواشي كثيرة في بعض مجموعات الآباء القديسين . مثلاً في

Migne, P. G., t. V, col. 644 - 726.

Pearson, Vindiciae Ignatianae (Migne, ib. col. 37 - 472)

Dictionnaire de Théologie, article IGNACE, col. 685 - 713.

Cayé, Précis de Patrologie, 1927, C. I, p. 60-70.

Les Pères Apostoliques, Collection Hemmer-Lejay, III, Ignace d'Antioche, par Auguste Lelong. Paris, 1910.

Vizzini, Bibliothecae SS. Patrum, series I, Patres Apostolici, vol. II, Ignatii Epistolae. Romae, 1902.

Duchesne, Hist. Anc. de l'Eglise.

ونورد النصوص من الرسائل بحسب طبعة Migne .

والشبهيين او الشبهيين . وفي السابعة لا يوفر النصح للاسقف نفسه الحديث السن بوليكربس الذي كان يُجلب اغناطيوس اعظم اجلال .
 اما الرسالة الرابعة ، الى الرومانيين ، فهي آية في الحب والاخلاص . بل هي تحفة في بابها وممتازة بصوغ الافكار وحبك المعاني ، وهي ابداع الرسائل واهمها لا من حيث الصفات المذكورة فحسب بل من حيث الحقائق ايضاً . فكأنني بالقديس رغب ان يودع فيها مجمل الحياة المسيحية واساسها : ملء الايمان ، وحباً خالصاً للمسيح ، وتعلقاً تاماً به وتجرداً مطلقاً عن المحلوقات . ومن هذه الرسالة يتضح ان نفس اغناطيوس قد بلغت الى ما يدعوه اللاهوتيون ومعلمو الحياة الروحية « حياة الاتحاد » (Vie d'union) وهي اسمى درجة في الحياة الروحية ، وتدعى ايضاً « حياة المسارة » (Vie mystique) ، لان الله فيها يسار النفس وهي تسار فكأنها تقف على اسراره السامية التي يرضى بنعمة مجانية ان يشركها بها . ولذلك كان اغناطيوس يرغب ، على مثال الرسول الذي اختطف الى السماء الثالثة ، في ان « ينجل » ليكون مع المسيح^(٢) .

النظره الخصوصية

ان رسائل القديس اغناطيوس قد اعتبرت دوماً كأحد اركان الايمان وعقائده ، وزادت بناء الكنيسة تمكناً بسبب قدميتها وقربها من زمن المسيح والرسول . فلا عجب اذا رأينا اعداء الدين يحاولون ان ينكروا صحة نسبتها الى كاتبها القديس لما فيها من البراهين القاطعة على اهم حقائق الايمان . ولكنهم عبثاً يتعبون ، فقد اثبتها التاريخ بتاكيد . وعبثاً يتمحون لها تفسيراً يوافق هواهم ، فعناها واضح كالنور ، فكلام القديس ، الذي هو صدى معتقده ، لا يقبل الا تأويلاً واحداً لصراحته ودقته .

(٣) ان هذه الحالة السامية التي يكشف الله فيها بعض اصفائه باسراره الفائقة الطبيعة هي كثيرة في حياة القديسين . ويكفي ان نذكر في عصرنا الحاضر القديسة تريزينا الطفل يسوع والقديسة جما غلفاني ، وهي اقل شهرة من الاولى بين عامة المسيحيين ، وان تكن حياتها سلسلة غير منقطعة من الرؤى والايحاءات . ومن درس حياة هذه القديسة واطلع على كتاباتها ، يفهم جلياً ما كتبه القديس اغناطيوس ولا يعود كلامه يؤخذ ، كما شرحه بعض المتفلسفين العصريين ، مأخذ روايات قصصية او احلام تخيلة جامحة .

١ . قضايا اللاهوت النظري او الاعتقادي

اولاً. المبادئ العمومية او الاساسية :

- زى في رسائل القديس اغناطيوس اربع قضايا اساسية تتفرع منها سائر القضايا:
- الاولى : تاسيس الكنيسة الالهية ، ومنته تثبت الوهة مؤسسها يسوع المسيح .
 - الثانية : الفرق الحقيقي بين جوهرين في المسيح .
 - الثالثة : درجات الاكليرس او خدّمة الهيكل .
 - الرابعة : رئاسة الكرسي الروماني .

ولا يمكننا بالطبع معالجة كل من هذه القضايا بالاسهاب المرغوب . لذلك نقتصر على الوجيز، وتوسع على مثال القديس في القضية الثالثة التي اضطرته الظروف الى اطالة شرحها .

القضية الاولى : الكنيسة

ان للقديس اغناطيوس في الكنيسة نظرة بديعة سامية ، وان تكن موجزة ، اذ لا يتكلم عن الكنيسة الجامعة بل عن الكنائس التي يكتب اليها وهي فروع للكنيسة الجامعة . على اننا نستطيع ان نحمل كلامه عن تلك الفروع على الاصل الذي منه تنشعب . ولا ريب ان ما يقوله عن كل من الكنائس يناسب الكنيسة الجامعة بنوع الكمل . كيف لا ورأس هذه الكنائس هو المسيح عينه رأس الكنيسة الام ؟ الكنيسة ، باعتباره ، جماعة من المؤمنين يؤلفون جمعية تستمد وحدتها من وحدة الايمان . وهذه الوحدة تدوم وتثبت بجمعة الاعضاء المتبادلة وتبلغ كمالها بالمسيح يسوع . فالايان اساس الحياة المسيحية ومبدأها ، والمحبة كمالها وغايتها : « لا يخفى عليكم شي . من هذه اذا كان لكم ايمان ومحبة في المسيح يسوع ، لانها (اي الايمان والمحبة) مبدأ الحياة وغايتها . فالايان هو المبدأ والمحبة هي الغاية » . (الى الافسين ، فقرة ١٤) . ويشبه الكنيسة احياناً بجوق او خورس متألف الانعام ، متفخ الاوتار والاصوات يولفه جمهور المؤمنين الذين هم نعات المسيح عينها : « فليكن كل منكم نغماً في هذا الخورس ، حتى اذا ما اثقلتم بالنشيد وتمسكتم بنغم الله في الوحدة ، ترغون بصوت

واحد للاب يسوع المسيح . فما اجمل هذا التعبير ! كأن المسيح نعم او انشودة
يجب على المؤمنين ان يتخذوها دوراً اوردت لغنائهم ، او كأنه هو نفسه اغنيتهم :
« فباتفاقكم (في هذا الخورس) ، وبالمحبة المتحدة النعم ، ترغفون يسوع المسيح » .
وهل من نشيد اجمل واعذب على قلب الله وقلوبهم ؟

ورئيس هذه الجمعية ، او اذا شئت ، مدير الخورس فيها ، هو الاسقف . - لاحظ
ما ابدع هذه التعابير وما فيها من روعة الجمال الفكري . ولو ان انشاء الرسائل كان
يجاري جمال المعنى لكانت هي من تحف آداب اللغة اليونانية . ومع ذلك فان ركاسة
اللغة والانشاء لا يتقص من لذتها لان سمو جمال المعنى يعوض عن نقص جمال المبني .

١. صفات الكنيسة :

لا يمكن ان نفتش في رسائل القديس اغناطيوس عن تلك الصفات التي يعتبرها
اللاهوتيون ميزة للكنيسة تدل على حقيقتها وتُتخذ دليلاً على تاسيسها الالهي . فهذه
اعتبارات جدلية كانت بعيدة عن فكر اونية القديس . ولكنه يهتم كثيراً بوصف
الوحدة او الاتحاد في الكنيسة بتوحيد النفوس والقلوب في ايمان واحد ومحبة سامية ،
ثم الانضمام التام الى السلطة الشرعية المثلثة في الاسقف . وهما صفتان جوهريتان
متلازمتان ، احدهما داخلية والاخرى خارجية . فالانتماء الى السلطة الواحدة اجلي
دليل على الوحدة بالمسيح في الايمان والمعتقد . وكان ذلك ملخص صفات الكنيسة
واوضح علامة لها . واليك بعض التفصيل : اولاً عن الاتحاد والوحدة ، ثم عن الانضمام
الى السلطة الشرعية .

١ - الاتحاد والوحدة (٢) . يعرف الجميع ما للاتحاد والوحدة بين المسيحيين من
الاهمية في نظر السيد المسيح مؤسس الكنيسة . فقد ترك لنا ذلك وصية اخيرة
وارثاً الهياً لا ثمن له ، بكلمات نادرة تفيض عذوبة وحباً . وقد افرغ في كلامه ما
كان ينبض به قلبه الالهي من الحب السامي ومن الرغبة الشديدة في الوحدة ، وجعلها

(٣) انظر درساً في هذا الموضوع في مجلة

موضوع صلاته الخاصة واقامها دليلاً على التشبه به . لذلك نراه يقرن الوحدة بالحب .
فالله محبة وعنوان المحبة كما انه اتحاد ووحدة ، ومبدأ الاتحاد الوحدة ^(٤) .

ولهذا السبب لانستغرب ان القدّيس اغناطيوس ربيب رسول المحبة وتلميذ رسول
الامم الذي تشرب هو تعاليمه السامية ورسائله الموحاة يقرن المحبة ، مثل المعلم الالهى ،
بالوحدة ، ويتكلم عنهما من فيض قلب رسولي قد امتلأ منهما « وكل إناء بالذي فيه
ينضح » . وهو يستعمل ، ليعبر عن فكرة الوحدة ، لفظتين مترادفتين بالاشتقاق
والمعنى : ἑνωσις و ἐνώπιος فالاولى تسدل بالاحرى على المعنى الفاعلي : التوحيد
والثانية على نتيجة الفعل : الوحدة . على ان هذا الفرق الاصلي من الاشتقاق قد بطل
في الاستعمال . فالقدّيس وسواه يعبرون باللفظتين عن معنى وفكر واحد على السواء .
وقد اتت في رسائله لفظة ἑνωσις ثماني مرات ولفظة ἐνώπιος عشرأ .

الارشمندريت نقولا برخش

(لها بقية)

الاب العام ب م

(٤) « اجا الآب القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتهم لي ليكونوا واحداً كما نحن
واحد » . (يو ١٧ : ١١) - « ولست اسأل من اجل هؤلاء فقط بل ايضاً من اجل الذين
يؤمنون بي عن كلامهم ليكونوا باجمعهم واحداً كما انك انت اجا الآب في وانا فيك ليكونوا
هم ايضاً واحداً فينا حتى يؤمن العالم انك انت ارسلتني . وانا قد اعطيتهم المجد الذي اعطيته
لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد . انا فيهم وانت في ليكونوا مكملين في الوحدة (١٧ :
٢٠ - ٢٢) - اما النصوص التي يلح فيها الخالص على المحبة فهي كثيرة ويكفي ان تعاد بامعان
وتروى مطالمة فصول يوحنا الخمسة المعروفة (١٣ - ١٨) . ونقتصر هنا على بعضها لتسهيل
المقابلة بين المحبة والوحدة وما بينها من الارتباط والصلة : « اني اعطيتكم وصية جديدة ان يحب
بعضكم بعضاً وان يكون حبكم لبعضكم كما احببتكم انا . بهذا يعرف الجميع انكم
تلاميذي (اي انكم متصلون بي ومتحدون كالتلاميذ والمعلم) اذا كنتم تحبون بعضكم بعضاً
(١٣ : ٣٤ - ٣٥) . ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي . . . من كانت عنده وصاياي
وحفظها فهو الذي يحبني . ان احبني احد يحفظ وصاياي (وصلة المروثوس بالرئيس ان يحفظ وصاياها
وذلك دليل المحبة) . الذي يحبني يحبه ابي وانا احبه . و (بالعكس) من لا يحبني لا يحفظ
كلامي (١٤ : ١٥ و ٢١ - ٢٤) - اثبتوا في محبتي . ان حفظتم وصاياي ثبتتم في محبتي . . . انتم
احبائي ان صنعتم ما اوصيتكم به . . . بهذا اوصيتكم ان يحب بعضكم بعضاً . ان كان العالم
يفضكم فاعلموا انه ابغضني قبلكم » . (وهذه صلة الاشتراك بالاضطهاد وهي نتيجة الصلة
بالحب لان الاشتراك بالالام اقوى برهان على الاتحاد بالحب) (١٥ : ٩ - ١٥ و ١٧ - ١٨)

اغريقيا الخالدة! *

في يقظة الخامس والعشرين من اذار، عيد الامة اليونانية الخالدة ، دوت في قلب فرنسا ، فرددها الكون ، اصداآ. الاضطراب العميق الذي هزهز الروح اليونانية باسرها، كما دوت في قلب اغريقيا الخاشعة اصداآ. الكتابة الخرسآ. التي ملكت على فرنسا صبيحة الرابع عشر من تموز والحادي عشر من تشرين الثاني ، يوم كنا، واعلام الحرية تتعامل تحت نعال البرابرة ، نشعر في اقصى كياننا بارتعاشتها اللانهائية. . .

ايه ، يا اغريقيا المسيرة على صليب الالم ، انت يا ام الحضارة في كل فن وادب، يا من كشفت لنا عن معنى « الوطن » واذاعة الاستقلال ، يا من جاهدت في الحق ودافعت عن الايمان المسيحي في الاجيال الوسطى البيزنطية ، يا من هي رفيقة فرنسا وصديقتهما في الحروب ، واختها الآن على « جلجلة » الالم المقدس ، تقي فإننا نشهد مأساتك الدامية ، ونتوجع لاستشهادك ا

ير خيالك في خاطرنا فنقشعرك للكتابة الغزيرة المتدجية في عينيك . ونسمع ، وتلك تنهدات بنيك البررة تحترق جدران السجون ، وحسرة ابطالك الاشواس تدوي في الساحات الافريقية ، وزفرات امهاتك العجائز وايمائك الفتيات تتصاعد متلاطمة في جواء اثينا وبتراس وسالونيك ، تلك الاماكن المفجوعة اللواهف ا وبكآ. اطفالك الجياع المحزونين يصرخون بكل نفوسهم ، فتتناقل الافاق - وقلعها يدوب حسرة حمراء - اممآ. والديهم الغائبين . . .

نسمع ، وقد أخذ منا الاسى كل مأخذ ، اصداآ. تلك المناحات الطويلة التي تضاهي مناحات الالباذة و الاوديسية وحروب طروادة واقرينيذس، مناحات بناتك المهجورات وهن يتشوفن من خلال دموعهن الى الافاق البعيدة ، وفي نفوسهن امسل ضئيل رجراج . . .

ولكن عزآ ، يا اغريقيا ، عزآ ا فحظك حظ امة خالدة ا انك بعد جفوة الشتاء

(*) : معربة ببيض التصرف عن مقالة نشرت في مجلة En Route العدد ٣١ بامضآ دي هوتفيل

ستأنسين الى ربيع ناعم ، فالحياة بين جنبيك نشاط وعظمة وبهاء واذا كنت اليوم دامية الفؤاد ، ممزقة الاحشاء . كأفيجني ، ضحية الشرف والنبالة ، فانك ، يا اغريقيا - مثل تلك - معصبة الهامة الغضة باكليل الشهداء اللامع

وكل من رأى ، فوهم ، انك تنحدرين الى الوهدة نجيبه انك ترتفعين من وراء الستار ارتفاعاً ! - او لست حية كاهي حياة ؟ او ما شعر الكون الى اقصاه بروحك الزكية تهب عليه فتتعش حياته ؟ انك تنوحين ، ولا ريب ، يا عرائس الشعر الاولمبية ، في هذا اليوم الوطني الكامد ! فهلاً ، مهلاً ، ايتهما الإلاهة المتفطرة لوعة ! كفكفي عذباتك السكبية ، وترفي بنشيد الامل ! ارفعني الى العلاء . جينك المخرج بالدماء ، يا اغريقيا ، فلا أنت والشرف صنوان ! . . .

الا ، يا اغريقيا الشرف ، قفي معتزة بين الاملاء . فليس من الابطال المتصارعين ، والمشتغلين كدأ ، والمقتتلين بيأس لتحرير بلادهم ، من لم يشعر بسطوتك تبليغ الى اقصى افكاره واقواله ، وتدفع فيه الحياة قوية حتى النصر المبين ! . . . ثقي ، فان في كل قلب فلذة من حياتك السامية ! انت في وحي الشعراء والخطباء . والفلاسفة حية ابدأ ، بل انت الروح القوية ، منها تندفع الحياة الى القصور والمتاحف ، والأبنية الفخمة في سائر البلدان الآخذة عن عبقريتك الجوادة .

وانه لا منتدح للشعوب عن لغتك الجامعة الموسومة بطابع الخلود ، فتصبر الى قم الثقافة الادبية العالية . انها لن تموت تلك اللغة السعيدة ، وقد سمعت بين حروفها تقاطيع اصوات رسل المسيح وخطباء النصرانية الاولين ، وحملت الى اطراف المعمور انجيل الكلمة الازلي ، نوراً وهاجاً !

ان فرنسا واقفة الى جانبك ، يا اغريقيا ، فرنسا صديقتك الدائمة . اتذكرين سفننا البسكالبية^(١) سفراء الصداقة الفرنسية الهلانية ، تلك السفن المتوثبة من مرسيليا الى ضفافك الهنيئة الساحرة ، تقل افواج الطلاب ، والاساتذة علماء الآثار والمسكوكات القديعة ، والروائيين ، والمؤرخين ، والسياح ، والجانئين . جولة الاعراس ! ما هذه الاسماء الشائعة على صفحات الاكروبول يجر كها الولاء . ويوقفها الاعجاب ؟

(١) بريطانية ، بروفسنة ، تاوفيل غوتيه .

- انها اسماء الفرنسيين : شاتو بريان ، جيرار دي نيرفال ، موريس باريس ، اناطول فرانس لامرتين ، فكتور هورغو ، اندره شينيه وسواهم كثيرين من رقت اصماؤهم على تلك الحجارة ، ومن لم ترقم بعد ، فهي في تدفع الاجيال الآتية ، تدفع الخالدين ا

وفوق تلك الاسماء الباهرة ، الاترين ، على جدران قلعة الالهة ، اسماً عظيماً جباراً يرتفع ثم يرتفع ، فلا يطول عليه نصب أنينا بروماخس ؟ . ان هذا الاسم الاسطوري المتلهب بأساً وقوة وجرأة وايماناً حياً ، هو اسم القائد فافيه اللوريني ، قائد بعثة المتطوعين الفرنسيين ، وقد هب برفاقه ، كلاسود لنجدة الاسود ، فانقذوا الاكروبول سنة ١٨٢٣ ، يوم كان الاكروبول آخر حصن للمقاومة الهلانية في ابتداء ثورة الاستقلال المحيطة !

الاتسمعين موريس باريس يهتف ، وقد اهتر العطف بين جنبيه : ان منزل القائد فافيه هو على طريقي الى اللورين ، وان لفظه اغريقيا هي لنا ، اكثر ما كانت هلاذة ، لبريكليس ، شعور عميق لا اعرف له اسماً . وذا فكتور هورغو على غرار فافيه ، يرفع صوته بمثل قصف الرعود ، وخط البروق فوق روضة زاهرة ؛ وهو ذار هط الكتابة الفرنسيين الآخرين يجر كون اقلامهم في خدمة الامة اليونانية ، فاذا الزهور قد عقدت ، وانما هي نخبة من الشباب الفرنسي الثقيف تجيش في صدورهم عاطفة البطولة ، فيسارعون وينضون الى لوائك الوطني ، ذلك عنقاء مغرب المنعش ابدأ من رماده ، فينجدون شعبك الصغير العازم ان يناضل عن فكرته حتى الموت !

ولا غروى ، فان حضور هولاء الابطال يزيد في قوتك وبأسك فتمضين الى النصر قدماً ، ولا توقفك نكبات شيو ومسولنجي وسواها ، فان رجالك الصناديد لا يرجعون عن خطير ! هوذا بوتراس ونيكيطس قد التحفا بالمجد ، ومياولس اهرب الاساطيل ذكر اسمه ، وقسطنطين كنارس احد القراصنة الاشد بسالة في التاريخ الحديث ، ومفروجي ، جان دارك البلاد الهلانية . . . واذ ذاك دوت مدافع العارة الفرنسية في مياه نفرين تقذف الصواعق من فوهاتها فلا تبقي ولا تذر ؛ واذ ذاك أطلت عليك تبشير انوار نهضتك الاولى . . .

ثم ، عشرين سنة خلت ، هبت عليك عاصف زعزع كان لهولها صدى مأساة بعيدة المدى ، لم يعرف لها تاريخك المجيد سابقاً ، لثلاثة الاف سنة . حربان بلقانيتان مرتا بك

تلو الحرب العالمية . هوذا سنة ١٩٢٢ تحمل لك انباء الشوم ، يا اغريقيا التاسعة ، فان طراقية اصبحت في يد غربية ، وبنوك طردوا من آسيا الصغرى . وان مليوناً ونصف المليون من البؤساء الجياع العراة يترامون على احشائك المنهوكه ، وياوون الى جناحك المهيب . . . افترحين بهم هذه المرة ، يا اغريقيا ؟ - كلا فلست قوتين ، يا اعجوبة الله ا بل انت تبعين حية للمرة الثانية بعد المئة سنة .

لقد فتقت لك عبقريتك ، فحوت المدارس ، والمسارح ، والمخازن ، والكنائس ، وبيوت المحطات باجمها الى منازل رحبة الاثدين . ولقد ابرزت ارضك الهلانية الخالدة ثلاثين الف بيت ، وخمسين الف كوخ ، ومليون هكتار من الارض الغزيرق . فتجرد للعمل خمس مئة الف زارع من هولاء اللاجئين ، ومد قرن الغزارة ^(١) الى جميع أنحاء بلادك . فالتبغ ، والحريز ، والقطن ، والزيت مظاهر صادقة لذلك الفيض العجيب . فلا وقفة بعدئذٍ للعمل والفن : هذه ممالك الجبارة ترفع دخانها الاذكن في كل ناحية ؛ وهاتيك بجيرة مارانون الهائلة الصنع ، قد انشأها السكلوب تحوي اربعين مليون متر مكعب من الماء ؛ وتلك قناة كورنتس تمد طرفها الى قوافل السفن المتتابعة ، والعلم الهلاني يخفق فوق كل البحار !

ولقد كنت قبل هذه الحرب يا اثينا ملكة المدائن البلقانية ، وازياؤك الرشيقه تحمل ذوقك وكياستك الى يوغوسلافيا ورومانيا وبلغاريا وسائر البلدان . وامام بصر الجائزتمر الابنية الفخمة العظيمة وهي تتجلى بجلتها الاغريقية الجديدة ، تلك الاعمدة الايونية الطريفة ، والاساطين الدورية المثينة . هنا دار الندوة ، جوهرة بيضاء ذهبية . وهناك الجامعة ، نسخة عجيبة عن الابنية القديمة ، قد احييت فيها الهندسة من مزيج الالوان ونضرة الاروقة المرمرية ما دفع اهل العصر الى وقاية الفن الاغريقي خالصاً . في هذه الجامعة كان التنفريون ، والنشاط يهب في قلوبهم والحياة تتدفق من صدورهم ، يعكفون على درس التأليف القديمة الهامة ، تأليف «هزيود» و«هوميروس» . وهناك المصارف الوطنية ، وقد رصعت جدرانها الجبارة بالرخام الابيض ، تعكس اشعة الشمس حارة وهاجة !

(١) قرن الغزارة هو قرن العترة أماتيه مُرضع جوبيتر ، ومنه فاضت الخبرات على الارض

ليس ذاك الشارع الرئيسي « اكاديموس ليوفرس » سوى بنايات رحبية، متناهية الابهة ، جديدة بالقرن العشرين كما هي جديدة بالقرون الخالية . وان بريكليس نفسه لو صعد اليه طرفه لعاد معجباً بتلك الفنادق والقصور والمدارس ، وقد بُنيت كلها قامة بني السكلوب . وتلك الارتمجة الانيقة يطل عليها الرأس بلقطة ، فيأبى الرجوع ؛ ولكن الداخل لا يقل عن الخارج بهاء وروعة . فكل ما صنع لا يشكو فيه الرخام نقصاً : حواجز ، وارصفة ، واعمدة ، وادراج ، اثرية ، وسقوف بارزة النقش ، مذهبة متبرجة بالحلي اكثر من بيژنطية القديمة !

واما المدينة ، فكل ما فيها بهي ، رشيق ، مغنّج . فالبيوت والدارات كالقصور لها حدائقها الغناء الوارفة الظلال المعطرة الانفاس . والمداخل يحفها النخيل من كلتا الجهتين متباهياً . والسما تسمح الشارع على جانبه بالابيض الساطع من الانوار ، فتبدو الجموع على صفحاته الفضية متألمة محبورة

انهضي ، يا اغريقيا ، فلسنا ننسى منك عهد الاحتفالات السامية . لقد كنت سنة ١٩٣٧ تحنفلين بالدكري المثوية لجامعة اثينا ذات الشهرة العالمية . ويضيق بك الدهر لورحت تحنفلين بتلك المعاهد العظيمة ، معاهد الطب ، والحقوق ، واللاهوت ، والعلوم السياسية والاقتصادية ومدارس الفنون والمكاتب الوطنية وجمعية العلوم الاثرية المنقطعة النظر ، والمتاحف العظمى التي لاتضاهي ، والپرناس اكبر اوساط الحركة الثقافية الشاملة . ايه ، يا اغريقيا الحديثة اكم حق لك ان تنباهي بنهضتك الفنية . فقد تم لك ايتمها المدينة الناهضة كل ما شئت من النثر والشعر ، والمسرح ، والموسيقى ، والرواية والمراقص ، والتصوير ، والنحت الدقيق . فقد تتبع توموبولس وزملاؤه اثر الفن عند براكسيتيل وسواه من مشاهير الحفارين الاقدمين ؛ فظفروا به على آخره .

وجرى نرفانس وصفوة من الناثرين والشعراء الاكثر ايجاء على نهج اثريبيدس وسوفوكاس وارسطوفانس فباغفوا الكمال السامي ، اقرب ما بلغوه !
ووثب الرقص بكل فروعه في النادي الموسيقي ، ينافس عبقرية وحماسة ، فاذا متروبولس وكوكبة من المبرزين يرتفعون الى قمة العالمية .

واحسن اقروف ذاك الملعب الجديد الواسع ، بالموجة النامية ، فالقى عليه للحال ثوبه

الرخامي الناصع، وشاد المراكز خمسين الفاً تحت رعاية ديونيسيوس .

ولكن اسفأ ، يا اغريقيا التاسعة ، اسفأ . . . فلم يتأد بك العهد حتى اطل عليك
شيطان الظلمة ، لثالث مرة منذ ١٤٥٣ ، ينزع النور من عينيك . فلا تضحيات ابطالك
الاشدآء ، ولا انتصارات امس في بند وكورترآ وارجرو كسترو وخيارا وكلسور ، ولا
مأترك المستجدة الشهيرة التي لا تقبل في شي . عن ماراتون وترموبييل وسلامين ، لا شي
من ذلك كله قاور على ان يصد النازي ، ذلك الوحش الجهنمي ، عن الفتك بك فتكأ
ذريعاً . اسفأ . . . فها الاعذبة والنكال والتباريح على آخرها تنزل اليوم بابنائك البررة
سيلاً منهجراً ! ولولا استشعار النازي بتلك الساعة الناقمة للعدالة الالهية لما تركوا مسيحيي
بلادك الاطعمة للضواري . . .

ومع ذلك ، فقد تقمتحت جراحك التخينة وجرى الدم غزيراً في ظل الاكروبول
على جدار السمآح وغصت شوارع القلعة القديمة بجثث النساء والاولاد الازحجن جرعاً
وهزالا . . . فالمجلات النازية ، الملائى بجثث الضحايا الطاهرة ، تجوز دون احتشام
تلك المدينة المحزونة ، وليس عليها غطاءً . ولا كفن ! . . .

ولكن ، لا تياسي يا اغريقيا ، فالنصر آت ، وآذار آخر لا يبطي . . . وسيكون لك
الخامس والعشرون من اذار يوم اعجوبة عظيمة تحتفلين فيه بعيد بعثك الثالث فمتجابوب
افراحك في قلب الدنيا !

وغداً ستنهض مدنك من تراها : سالونيك وبتراس ونقرين ومسوانجي وكورنثس
وعشرات وعشرات المدن الاخرى التي دكها المعول الجرمانى الهدآم ، وستبرز من
رمادها مشرقة الجبين باهبي ما كانت عليه بالامس .

اجل ، ستبرزين ، يا اغريقيا بروز ، الربيع الخالد ، ربيع إلهك ادونيس الضحية
البريئة للخنزير الدموي .

وستتحفنين العالم بمآثر جليلة باهرة نظير ما هي قناة كورنثس المأثرة الطيطانية الهادئة !
ويعود سيف الاعدآء الى مخرم ثاراً لبنيك البواصل الذين سفكوا دماؤهم في الذود
عن حريتهم ولم يجحججوا عن دفع الثمن باهظاً خلال مصائب الستين الثلاثة الأفا !
الاثقي ، يا اغريقيا الشريفة . لئن كنت مستجاة ، ضحية قدس على هيكل الاوطان

فلسوف تنهضين، مجدة، نهوض الصبح المنير! . . .
 لتعش اغريقيا الخالدة!

الاب بأسيليوس خوري ب م

حبر حبر

في طائفتنا الرومية الطوبى

بعد ان انجزنا طبع هذا العدد، وردت الينا بشرى سيامة سيادة
 الارشمندريت كامل مدور البولسي مطراناً في مصر القاهرة عن يد
 غبطة مولانا السيد البطريك كيريوس كيريوس كيرلس التاسع المغنب
 بطريك انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق الكلي الطوبى.
 وقد تعين سيادة المطران الجديد نائباً بطريركياً في معية غبطة السيد
 البطريك. وسنوافي القراء بلمحة من حياته وتفصيل سيامته في العدد
 القادم ان شاء الله. فنهني، سيادته من صميم الفؤاد بهذا المنصب السامي
 ونتمنى له حبرية حافلة بجلايل الاعمال والمآثر.

المطبعة المخلصية

دير المخلص - قرب صيدا - (لبنان)

مطران بانياس (مرجعيون) الجديد

علمنا في آخر ساعة ان سيادة الاب ايزيدورس فتال ، من
اكليرس ابرشية حلب ، قد تعين مطراناً لابرشية بانياس (جديدة
مرجعيون) المترملة منذ نحو سنتين بوفاة راعيها المثلث الرحمة
المطران اكليمنضس معلوف . وسيسام سيادته قريباً في القاهرة .
فنقدم لسيادته اخلص عواطف التهنئة ونهنى . به الابرشية متمنين
لها في ايامه السعيدة نمواً مطرداً وازدهاراً وكل نجاح وتوفيق .

مطران حيفا الجديد

بعد الفراغ من هذا العدد بلغنا ان سيادة الاكسرخوس جورج حكيم، من الاكليس البطريركي ورئيس المدرسة البطريركية في القاهرة، سيسام مطراناً على ابرشية عكا وحيفا والناصرة والجليل، المترملة منذ نحو ثلاث سنوات بوفاة المثلث الرحمة المطران غريغوريوس حجار. فنهنى. سيادته ونتمنى له عهداً سعيداً حافلاً بمجيد الاعمال، ونهنى. الابرشية العزيزة التي نالت بعد الانتظار الطويل راعياً اميناً غيوراً عالماً، يرفعها الى اعظم رقي ونجاح ان شاء الله.

الرسالة

ايار وحزيران

١٩٤٣

السنة العاشرة

مايو - يونيو

العددان الخامس والسادس

ملحق

مقل الاخبار

اولاً . الكرسي البطربركي

١ . عيد غبطة السيد البطربرك - يقع في التاسع من شهر حزيران الحالي عيد شفيح غبطة بطريركنا الكلي الطوبى ، القديس كيرلس الاسكندري . فبهذه المناسبة تتقدم « الرسالة » الى غبطته باخلص العواطف البنوية والتهاني . وتدعو الى الله تعالى ان يد بايام غبطته ويمتعه بالصحة والعافية ، ليتابع ما هو آخذ به من مجيد الاعمال لرفع لواء الطائفة العزيزة وخير النفوس والكنيسة .

مشروع «الطعام الشعبي» في دمشق . - قام اعضاء النادي الكاثوليكي بمشروع « الطعام الشعبي » وغايته مساعدة الفقراء بنوع اوفر في هذه الايام العصيبة . وقد بلغ عدد المشتركين به ، المساهمين في القيام بمصاريفه ما يزيد عن مائتي شخص . وبلغ عدد الفقراء الذين يستفيدون من هذا المشروع نحو ثلاثمائة شخص دون تفريق الملل والاديان . وقد نشر اعضاء النادي بياناً مفصلاً عن هذا المشروع ، وبلغ مجموع ما دخل صندوق النادي لهذه الغاية ٦٧٢٢ ليرة سورية والمصروف ٣٦٢٢ ليرة ، ما عدا ما قدمه المحسنون من مواد

غذائية وافرة . - فنشني على نشاط وغيرة النادي ونتمنى المشروع كل تقدم ونجاح .

مأناً . ابرسبه صبرا

الرياضات الروحية في الصوم . - اهتم سيادة راعي الابرشية كما دته اهتماماً عظيماً هذه السنة بأن تقام الرياضات الروحية في اكثر قرى الابرشية وقد قام بها ايف من الكهنة الافاضل من المرسلين البولسيين وآباء الرهبانية المخلصية :

الاب باسيلوس بريدي البولسي : مغدوشة ، عبراو مجدليون . - الاب الياس ساره المخلصي : برته ، المحاربية ، جنسنايا ، الحسانية ، عين زحلثا ، وادي دير القمر . - الاب يوسف الشماس المخلصي . الميه وميه ، الهلايه وجوارها . - الاب فيلبس نبعة البولسي : كاتدرائية صيدا للسيدات ثم الرجال ، المدرسة الاسقفية في صيدا . - الاب بطرس الحداد المخلصي : جون . - الاب اثناسيوس مشنتف : كفرحونه ، روم .

مأناً . ابرسبه هبفا

١ . الرياضات الروحية . - قام حضرة الاب الفاضل غريغوريوس الخايك المخلصي هذه السنة ايضاً بالقاء مواظ الرياضات في حيفا اولاً للسيدات ثم الرجال . وكان اقبال الجمهور على سماع مواظله عظيماً نظير السنة الماضية لما كان يودع عظاته من الحقائق الجوهرية الاساسية في المعتقد المسيحي واضاليل العصر والمسائل العملية .

وقد اهتم سيادة النائب البطريركي كيريوس يوسف معلوف الكلي الوقار ان تقام الرياضات ايضاً في اكثر قرى الابرشية فدعا لذلك حضرة الايكونوموس ميشال غصن فقام بعدة رياضات . ووعظ غيره من كهنة الابرشية في قرى مختلفة . وبقي مع ذلك جزء كبير من الابرشية لم يحصل له حظ من الرياضات لقله الكهنة ، كما قال السيد قديماً : الحصاد كثير اما العملة فقليلون .

٢ . الاعياد الفصحية والقداس الفصلي . - اقام حفلات اسبوع الآلام والاعياد الفصحية حضرة الاثمندريرت باسيلوس قسيس ، رئيس طائفتنا المحبوبة لتغيب سيادة النائب البطريركي في ابرشيته البعلبكية . وقد احتفل هو ايضاً في الاحد التالي للفصح المجيد بالقداس الفصلي حضره سعادة قنصل فرنسا المحاربة والسيدة عقيلته . وفي اثناء القداس

التي حضرته الاب المذكور كلمة مؤثرة ذكر فيها المحنة التي افتقد بها الله تعالى ابنته
البكر، معرباً عن امه وامل الجميع ان ترجع الدولة الافرنسية الى سالف مجادها واكثر .
٣٠ . اعمال جمعية مار منصور لسنة ١٩٤٢ . - اصدرت جمعية مار منصور فرعها (اي

جمعية الرجال وجمعية الفتيات) بياناً ملخصاً عن اعمالها لسنة ١٩٤٢ . فكان الداخل لجمعية
الرجال ٩٥٢ ليرة فلسطينية وجمعية الفتيات ٤٦٦ ليرة . والمصروف للجمعية الارلى ٦٩٧
ليرة وللثانية ٤١٠ . وجدير بالذكر ان الجمعية تهتم بانشاء مأوى للعجز . - فنشئي على
همة هذ، الجمعية وتنمى لها اطراد النجاح والتوفيق .

(لمراسل فاضل)

حيفا في ١٠ ايار سنة ١٩٤٣

رابعاً . ابرشية زحلة

١ . الرياضات الروحية . - كان الاقبال عظيماً هذه السنة على صماع كلام الله ايام
الصوم المبارك والتقدم الى الاسرار الالهية في انتهاء الرياضات والايام الفصحية . وقد قام
بوعظ الرياضات في زحلة ومختلف القرى حضره الآباء الافاضل التالية اسمائهم :

الاب يوسف رياً : كاتدرائية سيدة النجاة في زحلة . - الاب يوحنا حلاق ق . ب :
دير مار الياس الطوق ، كنيسة القديسة بربارة ، كنيسة الملاك ميخائيل في زحلة .
- الاب جميل اليسوعي : كنيسة القديس يوسف الشير في زحلة . - الاب الياس بردقان :
كنيسة القديس جاورجيوس في المعلقة . - الاب موسى الكايد المخلصي : جديتا ، قب
الياس ، المتصورة ، جب جنين . وقد اقيمت رياضات اخرى في زحلة في كنائس الآباء
اليسوعيين والموارنة .

٢ . القداس القنصلي . - احتفل سيادة راعي الابرشية كيريوس افثيميوس يواكيم
الكلي الوقار بالقداس القنصلي ثاني عيد الفصح المجيد . وقد قام بخدمة القداس على
اصول البصليتيكا خورس المدرسة الاسقفية المؤلف من صبيان وبنات بادارة رئيس
المدرسة حضره الاب ميشال بطرس المخلصي . وبعد الانجيل خطب سيادته اولاً بالعربية
في موضوع العيد ثم وجه بالافرنسية كلاماً مؤثراً لمثلي الحكومة الافرنسية وفجواه انه
كما شهدنا آلام المسيح اولاً ثم تمتعنا بافراح قيامته ، هكذا املنا كبيراً ان نرى فرنسا
مجددة بعد ما تقاسيه من الآلام بانتصارها وانتصار الحلفاء .

٣. حفلة مناولة اولى - في ٢٠ ايار اقام سيادة راعي الابرشية قداساً احتفالياً تقدم فيه الى المناولة الاولى اكثر من عشرين تلميذاً وتلميذة من المدرسة الاسقفية بزحلة . وفي نهاية القداس تقدموا جميعهم وتلوا بقلب واحد وصوت خشوعي تعهدات المعمودية بالكفر بالشیطان واتباع السيد المسيح . ثم صعدوا الى الدار الاسقفية حيث كانت اعدت لهم سفرة افطار ممتعة وزع سيادته عليهم بعدها ايقونات صغيرة تذكراً لهذا النهار المبارك الجميل .
(لمراسل فاضل)

خامساً . ابرشية باناباس (مرجعيون)

١. الرياضات الروحية . - اهتم حضرة النائب الاسقفي الارشمندريت يوحنا داغر الخالصي، تحت رعاية سيادة النائب البطريركي كيريوس نقولاوس نبعه الكلي الوقار بان تقام رياضات روحية في اكثر قرى الابرشية . وقد قام هو بذاته بوعظ الرياضة في كاندراثية مرجعيون وفي قرية الخربة . وفي انتهاء هذه الرياضة كرس فيها اخوية للسيدات تضم ما يزيد على عشرين سيدة . وقد كانت النتائج باهرة فتقدم الى الاسرار الالهية ما ينيف عن ثلاثائة شخص وانتحل الايمان الكاثوليكي نحو خمسين شخصاً .

٢. ازدهار الاخويات . - ويهتم كثيراً حضرة النائب الاسقفي بالاخويات لا سيما في مدينة مرجعيون . فاصبحت في عهده اخوية القتيات تضم نحو مائتي مشاركة . وقد اسس اخوية جديدة للسيدات قام بتكريسها في ٢٨ اذار الماضي وهو يتعهدا بعطف واهتمام شديدين . ويساعده في عمله هذا راهبات القلين الاقدسين .

٣. مدارس للبنات في القرى . كانت لحد الان فتيات القرى مهملات منسيات فادرك حضرة النائب الاسقفي اهمية تعليمهن، عالماً ان المرأة هي اساس جوهرى في المجتمع . فاسس في قرى كثيرة مدارس للبنات، سلم ادارتها لمعلمات نشيطات تحت اشراف الراهبات . وهن يقمن بثقافة الناشئة حق قيام ، ساهرات على تعليم وتربية اخواتهن وترقيتهن الادبية والاخلاقية بهمة لاتعرف الملل .
(لمراسل فاضل)



وفيات

المرحوم جورج ميخائيل دكلوش

في مساء الثامن والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٤٣ قصفت صواعق المنون غصناً رطباً من آل دكلوش الكرام في حيفا شاباً لا يزال في ريعان الصبا هو المأسوف عليه كثيراً جورج نجل الوجيه الفاضل ميخائيل دكلوش . وافته المنية على أثر مرض عضال لم ينجح في معالجته نطس الاطباء . وفي اليوم الثاني من اذار شيع جثمانه الكريم بين الحشرات والزفرات من بيت والده الى كنيسة مار الياس للروم الكاثوليك فسار الموكب ماراً في شارع الكولونية الالمانية فشارع النبي يتقدمه ثلة من الجند الوطني والانكليزي ثم حملة الاكليل ففرق الكشافة من مختلف الطوائف فبنات مدرسة راهبات المحبة فتلامذة مدرسة الساليزيان فبسط الرحمة للجمعيات الخيرية من عموم الطوائف المسيحية فشاباب النادي الكاثوليكي فوسيقى النادي بنغماتها المحزنة فالاكليس على اختلاف مذاهبهم فجم غفير من الهيئات الرسمية والشعب .

وبعد اقامة الصلاة لراحة نفسه في الكنيسة القى سيادة الارشندريت باسيلوس قسيس رئيس الطائفة في حيفا كلمة تأبين كان لها رنة حزن واسى، نشربعضها فيما يلي .
وبعد الخروج من الكنيسة سار الموكب بنفس الترتيب ماراً بشارع المركز الجديد فشارع يافا الى المدفن حيث ووري الفقيد العزيز في مقره الاخير بين اناث الحزن والاسى . وقد رثاه ابنيات مؤثرة حضرة استاذة الاب نعمة الله فرحات ننشر بعضها فيما يلي . وتلا، حضرة اميل بك بوطاجي، معدداً افضال آل دكلوش الكرام، ومقدماً اياهم مثلاً للجد والعمل في ميدان الحياة . ثم القى حضرة الدكتور جوزيف حداد ابياتاً رثى بها الفقيد الراحل كان لها الوقع العميق في القلوب . رحم الله الفقيد العزيز رحمة واسعة ، وعزى آله الكرام ، ولا اراهم مكروهاً بعزير من بعده .

من تأبين حضرة الارشندريت باسيلوس قسيس

ايها العزيز الراحل ، لقد احاطك والداك واخوتك ووذوك بكل عناية واهتمام

في حياتك واثناء مرضك ، ولم يدخروا وسعاً ولا وسيلة في سبيل انقاذك من مخالب الموت الخؤون ، وضحوا بالهم ودمائهم ليدرأوا عنك سهم المنون فلم ينجحوا وخاب املهم . نعم لقد خاب املهم بشقائقك وبوضع اكليل الفرح على رأسك في هذه الحياة ، ولكن ثقتنا كبيرة بأنك نلت الاكليل الذي لا يبلى من لدن خالقك والهك . ها ان والديك واخوتك واقاربك وهذا الجمهور الغفير المحتشد لوداعك الوداع الاخير يلتاعون لفراقك ويأسفون على زهرة شبابك ، وقلوبهم مصدعة تملأها الحسرات والزفريات . فلا سلوى ولا عزاء لهم من بعدك . ونحن نشاركهم الاسبى والحزن على فقدك ايها الابن العزيز ، ولكننا نتهيب بهم ليرفعوا عقولهم وقلوبهم الى ما فوق ، فتشع عليهم الانوار السماوية، انوار الايمان والرجاء فتكشف لهم الحقيقة ويفهموا ان الانسان انما خلق ليموت، وان هذه الحياة الدنيا ليست سوى سفر وممر الى الحياة الاخرى ، حيث الهنا الدائم والسعادة الحقيقية الخالدة .

فلنوجه افكارنا وعواطفنا اذاً الى الحياة التي لا تذبل، الى مبدأ ايماننا، متذكرين داود النبي الذي بكى ولبس المسح ، وعفر جبينه بالتراب والرماد، وصام وصلى احياناً كان ابنه مريضاً . وعندما افتقده الله طيب نفسه وقال مع ايوب الصديق . الرب عطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركاً .

من قصيده الاب نعمة الله فرحات

أوقفوا النعش ، اوقفوه نودع	(فلذة) من كبودنا فيه تتضجع
لا تواروا طي الثرى «جورج»، رفقاً	انما جورج زهرة تتضوع
أودعوه احشائنا ودعوه	بيننا قرب عيننا والمسح
خلفوه بين الشباب ، ليزدا	د جمال النادي به والمربع
رحمة بالشباب ، ها هو بيكي	مُعولاً ، من فراقه يتلوع
آه يا موت قد صرعت حبيياً	من أجبائي ، كان كالبدر مطلع
بل وفيه أفقدتني روح روجي	فحسبت الاحشاء متى تترع
افليس الاستاذ ، وهو المري	روح تلميذه ، أباً فيه مولع
فاذا ما بكيته ، فليكوني	عشت معه ، برتع خير مرتع

نائباً عن رفاقه ، وعن (المعهد) مهد العلوم حيث ترعرع
 بأعشاً بالأزنين من عمق صدري مع هبوب النسيم فوحاً يرجع
 مع آهات والديه وإخوات - نه تتجاز ذا الفضاء الأوسع . . .
 آه يا جورج كيف غادرت أمماً هدها الحزن ، فارقت تتفجع
 وأباً ثاكلاً ينوح ويشكو ما الى صحك الشباب تطلع
 لم يمتع واحسرتا بعد عينيه بما فيك من رواء ويشبع
 آه يا جورج ، هل سمعت من النمش عويلي ، وجنبي الجمعُ حُشعُ
 ورأيت الازهار فوقك ، هل هذي ورود الاكليل حواك تجمع
 أو سمعت الاشعار تتلى فهل كا - ن قصيداً الزفاف ما انت تسمع
 أيها الجار ، يا حبيبي سلامٌ من محب دامي الفؤاد مُفجعُ
 أنت بين الضلوع حيٌ مقيم لك في كل إلفٍ مضجع
 ربي الله في سمانك متع نفس جورج ، وأراف بقلي الملوع

المرحوم حكمت بك جنبلاط

نعمي الينا ، وآخر صفحات هذه المجلة تحت الطبع ، المأسوف على شبابه جداً ،
 المرحوم حكمت بك جنبلاط ، النائب والوزير السابق في الجمهورية اللبنانية .
 هو ابن المرحوم علي بك جنبلاط ، ولد وترعرع في قصر اجداده في المختارة .
 وتلقى العلوم في الجامعة الاميركية ونوى في بدء حياته الاجتماعية ان يتخصص
 للعلم والحياة العقلية استاذاً في نفس الجامعة ولكن الظروف اضطرته الى التزول في
 ميدان السياسة فكان الزعيم المحبوب والنائب الصلب العقيدة والوزير النشط . وقد
 ظهر في هذه السنة الاخيرة في البلاد مرض الجدري ، بينما كان هو وزيراً للصحة .
 فكافحه بافعال الوسائط وقطعه قبل ان يمتد ويقفك في مختلف نواحي لبنان .
 اصيب ببثرة خبيثة تعرف عموماً باسم « النملة الفارسية » فنقل الى المستشفى
 وسهر على معالجته امهر اطباء بيروت ، ولكن الداء استعصى فتسمم الدم ولم يمهله
 المرض الا بضعة ايام ، انتقل بعدها الى رحمة الله في الساعة الثالثة من فجر السبت

الموافق ٥ حزيران . وعند الظهر نقل جثمانه الى المختارة فشيعة الى ساحة الدباس
موكب فخم من الوزراء والحكام والاعيان تتقدمهم الموسيقى وثلة من الدرك والشرط .
ثم اودع في سيارة الصحة وتابع الموكب سيده الى الجبل . وكان ينضم اليه طول
الطريق الوف من سكان القرى المجاورة، مارين في قراهم بالنعش محمولاً على الراحات،
بالندب والبكاء والعيول .

وفي الساعة الواحدة من بعد ظهر الاحد اقيم له في قصر اجداده مأتم حافل
مهيب حضره فضامة المفوض السامي ومندوب من قبل رئيس الدولة والجنرال لافلاد
والقناصل ورؤساء الجمهورية والوزراء والنواب السابقون وكبار رجال الدين وضباط
الدرك والمحامون والصحافيون ورؤساء دوائر الشرطة والمحافظون والقائمون والقضاة
ووفود لا تحصى من كل اطراف البلاد ووفد من آل الاطرش الكرام من جبل
الدرور ووفود من سوريا . وكانت شرفات القصر وساحاته وسطوحه وساحات البلدة
وطرقاتها تعج بالجمهير الذين قدروا بنحو ثلاثين الفاً من الرجال وبضعة آلاف من
النساء . وبعد الصلاة على جثمانه ابنه فضامة الجنرال لافلاد باسم المندوبية الافرنسية
العامة ثم معالي الوزير جواد بولس باسم الحكومة اللبنانية ثم سيادة المطران اغسطين
البستاني فالشيخ بشارة الحوري فالاستاذ حبيب ابو شهلا فالرئيس اميل إده فعدد
كبير من الخطباء والشعراء منهم الشيخ ابراهيم المنذر وجورج عقل ومحبي الدين
النصولي والاستاذ جرمانوس وامين بك خضر وامين الحلبي وغيرهم . واخيراً وقف
كمال بك جنبلاط وشكر باسم الاسرة وباسم والدته الزعيمة رجال السلطات اللبنانية
والافرنسية والبريطانية والوفود على مشاركتهم لهم في هذا المصاب الاليم . ثم اودع
الجثمان في مدفن الاسرة الخاص مع آبائه واجداده الاكرام .

فالرمة الفقيد الغالي، ولحضره امرأة عمه الزعيمة الست نظيرة، ولسائر آل جنبلاط
الكرام الذين تربطهم بهذه الرهبانية امتن الصلات التاريخية والحالية نتقدم باخلص
عواطف التعزية، سائلين الله ان يتغمد روح الفقيد الكريمة بغزير رحمته وان يعوض
علينا وعليهم عن هذه الخسارة الفادحة بحفظهم سالمين وابعاده عنهم كل مكروه .

المطبعة المخصية

دير المخلص - قرب صيدا - (لبنان)

الرجاء من المشتركين الكرام ان يرجعوا في ما يخص الاشتراكات الى وكلائنا
المعينين وهذه اسماؤهم :

مصر القاهرة ، شبرا :	صيدا : الاب وكيل الرهبانية
الاب يولس غطاس ب م	صور : السيد انيس القبطي
شرقي الاردن ، عمان :	بيروت : الاب اثناسيوس حنا ب م
الاب اثناسيوس نقيري ب م	زحلة : الارشمندريت بطرس يواكيم ب م
القدس :	عكا وحيفا وتوابعا :
الاكسرخس اثناسيوس مغيب	الاب جبرائيل نصر ب م
الولايات المتحدة :	الناصره وتوابعا :
الارشمندريت بطرس ابو زيد ب م	الاب ميخائيل ابو عراج ب م
208, Oak St. Lawrence Mass .	دمشق : الاب اثناسيوس نونه ب م
U. S. A.	جديدة مرجعيون :
المكسيك : الاب فيليومون شامي ب م	الارشمندريت يوحنا داغر ب م
Ap. 1900-1900 Mexico D. F.	الاسكندرية : الاب اسطفانوس الياس ب م

ان معمل حلوة العريسي هو المحل الوحيد
الذي تقدمت حلوياته الى صاحب
القداسة الحبر الاعظم وصادفت لدى
قداسته القبول ومنحه البركة الرسولية
بموجب مرسوم رقم (١٥٩١٨٨)
ثمرة التلفون ٦٢ - ٤٠



AR-RICALAT

AL-MOUKHALLISSAT

Paraît tous les deux mois

Publiée sous la direction des PP. Salvatoriens

SOMMAIRE

	Page
<i>La jeune fille de demain, comme je la voudrais . . .</i> Asma Toubi	129
<i>Bibliothèque de S. Jean Chrysostome.</i> A. Ch.	139
<i>Fête de la Présentation de la Ste Vierge.</i> P. Constantin Bacha, B. S.	146
<i>Etude sur la sainteté de Ste Thérèse</i>	
<i>de l'Enfant Jésus.</i> P. Elie Skaff.	154
<i>Les Cheikhs Yazigi</i>	163
<i>Je n'ai pas la foi</i>	172
<i>Etudes sur les épîtres de S. Ignace .</i>	178
<i>La Grâce éternelle.</i>	186
	traduct. du P. Basile Kheury, B. S.